

— البشر — في نقد المقدمات العشر

تأليف فقير ربه واسير ذنبه

== (عثمان بن منصور) ==

حقوق الطبع محفوظة لـ عثمان بن منصور
عاش أن يرى ذخرا . . . ليوم النفخ في الصور
ويبسى الذنب مغفورا . . . ويغشى الوجه بالنور

طبع : الشركة التونسية للفنون الرسم

الحمد لله الذي رفع كلامه عن ان يوتي بمثله والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 المين لمرادة وفضله وعلى آله وصحبه المبرزين في حلبات الفضائل والمكارم وعلماء
 امته الممهدين للدين بالاخلاص في العمل والعزائم اما بعد فانه اهدى الى الكتاب
 المشتمل على المقدمات العشر للتفسير المستور المنسوب للعلامة الشيخ سيدي الطاهر
 ابن عاشور المسمى « تحرير الفهم السديد وتنوير الفكر الجديد بتفسير القرآن
 المجيد » فطالعه بتامل واشتياق وتمعنت في رياض حسنه المآقي والاحداق وشكرت
 المهدى الذى هو من فضلاء النشء الجديد على الهدية السارة والسيرة البارة وكنت
 في مطالعته له مونساً بالوحدة غالباً وبعوض الجلساء احياناً فجزت بيني وبينهم
 محاورات فيه وكانت تنتهى بوافق تارة وبخلاف اخرى ربما اشرت لبعضها وكان
 احدهم كلما انتقدت شياً بحضوره قام ضاحكاً منشداً البيت المشهور وهو :

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والنزلا

فادركتني سورة الغضب يوماً ورددت عليه بقولي

كن شجاعاً فسوف ابرز تقدي قاررد السهم ان اردت الجدا

فذهب مغاضباً وصار مني الى الآن هذا صاحب بل الصديق العنيف بعد ان
 ملكنى باحسانه وساعدنى في اوقات الشدة باخلاص لا راغباً ولا راهباً وانا آسف
 لغضبه وجدير بان اتمثل بما كان قاله ابو الطيب في ابى العشائر احد عظماء دولة
 بني حمدان عتاً باله على الاستخفاف بعد التوقير والجنوح الى وضعه في مقام
 التحقير وهو :

ونفسي لم نفسي الفداء لنفسه ولكن بعض المالكين عنيف

وهاؤم النقد لا اريد عليه جزاء ولا شكورا ان اصبت ولا اوتر اصرارا على
 الباطل ان اخطات ورحم الله من قال :

على اتني راض بان احمل الهوى واخلص منه لاعلى ولا ليا

والله يقيناً مما يخشى منه على الدين والعرض ، وينقذنا من غضبه يوم
 الجزاء والعرض ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

مقدمة الكتاب

هذه كلمات بعضها يتعلق بارشاد المطالعين للكتاب الى الفرق بين الكلامين المنقود والمنقود به وبعضها يتعلق بذكر بعض مقدمات التفسير وان لم نسم بهذا الاسم فاقول كل صفحة من كلام المؤلف عليها نقد يكتب عددها ويوضع تحتها كلامه بين هلالين او نجمتين ثم يذكر تحتها كلام الناقد مفعولا عنه خاليا مما احيط به كلام الاستاذ حتى لا يختلط الكلامان وهكذا الى النهاية

وقد ذكرت في ه البشره جميع المواضع التي يتعلق بها النقد مستوفاة من غير اختصار فكانت ثلاثة وستين مبحثا وذلك لامرين احدهما مراعاة من ايديهم فارغة من كتاب الاستاذ ثانيهما دفع الاتهام بقصد السوء في التفسير وادعاء جعله سترار تتوارى خلفه اصابة المنقود وخطا الناقد خصوصا في زمن يرغب اهلنا في ظن السوء بمن لا يرغب في الشهرة ولا يركب للرياء صهوة مهرة فهو اجدر من ابي الطيب بقونه فيه

اتى الزمان بنوه في شيبته فسرهم وأتينا على الهرم ولذا قال صاحب المناهل العرفان الكتاب الذي كاد ان يبلغ الغاية القعوى في الافادة والاجادة قال لافض فوه ولا خاب قلعه فانا اصبحنا في زمان افتتن كثير من الناس فيه بالاسماء والرتب والاموال والنشب وباتوا لا يعرفون الرجال بالحق انما يعرفون الحق بالرجال فالباطل ان صدر من فلان انسابه فهو عندهم حق وزين والحق ان جاء به فلان الحامل فهو عندهم باطل وشين وهكذا احتلت الضوابط واقلبت الموازين اه

ويقول الفقير ان الخلق الذي ذكره صاحب المناهل كاد ان يعم الخبيث والطيب فلا تتصله قوله ولا تابه وزارة دولة

حتى الكلاب اذا رات ذابرة حنت اليه وحركت اذناها
واذا رأت يوما فقيرا معدما نبحت عليه وابرزت اناياها
ولهذا اخذنا الاحتياط كي لا يغمرنا القدر ولولا هذا لتركنا القل اجتابا
لتوفير المعاليم في وقت ضعف وشح وبعد فان مقدمات التفاسير كثيرة بعضها في كتب خاصة كالآتقان في علوم القرآن للامام السيوطي ومناهل العرفان في علوم القرآن لصاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بكلية اصول الدين الازهرية وهما كتابان مطبوعان فالاول بحر زاخر وذخر فاخر والثاني فلك نجوم اشراقها هاد وحرركاتها رجوم الا ان تواضع صاحبها كاد ان يجعل من يتانسون بالتعظيم ويستوحشون

من التواضع كاد ان يجعلهم فيه من الزاهدين وهناك كتب اخرى قديمة استمد منها صاحب الاتقان وزاد عليها ولا ادرى شانها مع الطبع هل دخلت دائرته او نزلت عنها وفي الاتقان ما حوته وزيادة عليه الا ان لها فضل السبق والامداد هذا وان بعض المقدمات التفسيرية ذكرها اصحابها في قوائم تفاسيرهم ولم يفردوها بكتاب خاص ومن اولئك ابن جزى والالوسي والقرطبي وشيهرهم ولذلك فنزارة مواد علوم القرآن في التأليف تمكن بالاتقان وما ذكر معه من الاجادة والاتقان والسلام

محاورة حول تسمية كتاب الاستاذ

قد تحدث الناس عن الاسم وهو تحرير الفهم السديد وتنوير الفكر الجديد بتفسير القرآن المجيد ، فقالوا انهم فهموا من هذا الاسم ان الكتاب احتوى على تفسير طائفة من آي القرآن خصها الاستاذ بالبحث والتفسير اوفرة تعلقها بحالة المسلمين الاجتماعية اليوم عموما او خصوصا قصد اصلاحها او لنمو الاختلاف فيها بين المفسرين واختلافها عليهم فاراد كشفها وايضاحها وقد منعهم من اعتقاد ان الكتاب تفسير كامل كما يدل عليه اسمه صغر حجمه وهم غاضبون على هذه التسمية التي ضللتهم عن موضوع الكتاب وشوقتهم اليه فاشتروه فلم يجدوا فيه ضالتههم التي وعدهم بها اسمه وقد نسبوا بذلك للاستاذ مقاصد تجارية وسياسية والحقيقة في نظري والله اعلم غير ذلك وانه ليس في صنعه الا قصد شريف ويرفم الاشكال انه خفى عليهم ان الامر دائر على حذف مضاف وجعل الباء ظرفية او جعلها سمية ولا حذف وهذا اولي لانه اذا استوى التقدير وعدمه فعدم التقدير اخرى فيكون المعنى على الوجه الاول في مقدمات تفسير الخ وعلى الثاني بسبب تفسير الخ ولنا من الاجوبة ثالث وهو تنزيل هذه المقدمات منزلة التفسير لشدة علاقتها به وقربه منها بروزا فصارت كأنها هو وكأنه هي وهذه فلسفة بلاغية بيانية والاولان فلسفتهم انحوية لغوية والوجه الاخير اقرب لقصد الاستاذ والله المستعان لكن لما صرحت بهاته الالوجه للبعض منهم اشمازوا وقال زعيمهم في الوقاحة لا يناسبك ان تهزل بعدما بلغت من الكبر عتيا فاجيته انه لا يكون الهزال غالبا الا في هذه السن ولهذا سمتها العرب دقاقة الاعناق فاعرض بحيا بجملة املاها عليه سوء ادبه وهي لاعجبا في صدور خرافة من خرف قلقت اعاذنا الله مما نسبته اليها ما حينما وكانت النتيجة اقترانا من غير وفاق وبعد خطوات ناداني فاجيته فقال خذ مني الجواب الصحيح عن اعتراضنا البليغ الفصيح قل ان التسمية اقتضاها حب العمل بما يستحسنه الفكر الجديد وهو ما يسمى بخداع العناوين فقلت كفى وحسبنا الله ونعم المعين

الصفحة الخامسة

« وشهد له الراغب والمختار والحاسد »

وزن الفعل موجود في اللغة الا انه سماعي فلا يصح زيادة همزته وتثانيه
فيما لم يسمع فيصح ان يصاغ هذا الوزن بزيادتيه فيما سماع فيقال انتصار واقتدار
واستقاد واعتزام من نصر وقدر وقد وعزم ويكون مثل افتطار وانكاه واضطحاك
خطأ لأنها لم تسمع فقول الاستاذ « المختار » لحن اغوي سبقه إليه شاعر الاشواق
عمر بن الفارض في قوله

وما اخترت حتى اخترت حبك مذهباً وكذا بن عابد بن تميمية * حاشيته
على « الدر المختار » رد المختار ودليل المخطئ عدم وجوده في كلام من يعتمد به في
الاثبات وفي الكتب اللغوية التي منها المختار والصحاح والمصباح ولسان العرب والقاموس
المحيط وشارحه والحكم لأنها تذكر المجرد ومزيدة ولا تقتصر عليه لاحتياج
مزيدة الى السماع وقد استفدت ما ذكر من مجموع مجلة المنار العلمية لصاحبها
الاستاذ رشيد رضا فليراجع من لم يقنع

« اما بعد فقد كان اكبر أمنيته منذ امسك بعيد اقراء تفسير الكتاب المجيد
الجامع لمصالح الدنيا والدين وهو وثق شديد العرى من الحق المتين »

قرا احد الساردين لفظة « موثق » مخفوضة فلحنه فادعى انه حق مستدلا
بقول ابن مالك

وحذفت رب فجرت بعد بل والفا وبعد الوا وشاع ذا العمل
ومشدا بعده قول امرئ القيس وليل كهوج البحر ارخى سدوله
فقلت اي علاقة بين البيتين وبين هذا الخطأ البين فان الاستاذ لم يرد الا
المعنى الذي يساعد عليه الرفع وهو جمعها وصفها لغويا للكتاب المجيد فقل لو اراد
هذا لقال « والموثق الشديد العرى » بالخفض او « والموثق شديد العرى » بنصب
شديد وتكثيره لوجوب التطابق بين النعت والمنعوت في التعريف والتذكير اذ يحسن
ان يقال انتفعنا بالرجل العالم والكريم ويقبح ان يقال بالرجل العالم وكريم فقلت
هذا هو الذي يمنعنا من خفض « موثق » لان الخفض على تقدير كسر المقدم المعنى
وعلى اعتباره نعتا يفضى النحويين فقال ما الحيلة حينئذ فقلت هي ان نقراء
مرفوعا ونجعل خبر الضمير مبتدا عائد على الكتاب المجيد فقال هذا لا يخاو
من ركائة وسوء تعبير وانحطاط ذوق ولكن

اذا ام تكن الا الا سنة مركبا فلا يسمع المضطر الا ركوبها
فقلت لعل تطول بنا في هذا البحث او فرر كاكمة

الصفحة السادسة

« وكنت احادث بذلك الاصحاب والاخوان واضرب المثل بابي الوليد بن رشد في اتمام كتاب البيان ولم ازل كلما مضت مدة يزداد التمني وارجوا نجاهه الى ان اوشك ان تمضي عليه مدة الحيازة فاذا الله قد من بالقلمة الى خطمة الفتيا واصبحت الهمة مصروفة الى ما تصرف اليه الهمم العليا »

اعترض على المؤلف بعض قدماء تلامذته ممن شاركونا في الشيب والهـرم وحنـكتهم التجارب وانكشفت لهم برعودها المغان بانه تشبه بقاضى قرطبة مع الفرق بين حالهما اذ ان ذلك القاضى بن رشد تقلدها بالحاح بعد الشروع في تليفه الفقهى وفارقها فرحا وهي تندب حظها بخلاف قاضى تونس فانه حن اليها ولم يقعد به عن تسنمها الى ذلك الوقت الا صغر سنة لان ولاية الشبان في امثالها مفضوب عليها في ذاك الزمان وتولاها قبل الشروع في تفسيره وامتلا بها سرورا ثم فارقها مستوحشا اسفا فكيف يصح هذا التشبيه وفي نظرى ان هذا النقد شديد غير شديد اذ لا يشترط التساوى بين المشبه والمشبّه به من جميع الجهات والا لم يصح ان يشبه ادمى بالاسد او بالبحر وهناك آخرون قالوا ان الناس اعتقدوا انه سيسعى سعيها حثيثا في اصلاح المحكمة الشرعية لشدة تدمره من اجراءاتها وبطئها وسوء ترانيتها وقلة الضبط واستيلاء الامهال والاهمال حتى صرح بانه يتمنا خطمة كبرى فيها ليتوجه لاصلاحها من جميع نواحيها وقد شاع عنه هذا بين تلامذته وغيرهم قبل الولاية فاشتهر بين الخاص والعام ولهذا اشتد الفرح وعظم الطرب وورد على القرائح الطلب ففاضت بالتهنئة شعرا وترا حتى تجميع لقاضى ذلك العصر ما يملأ ديوانا لو طبع لكانت له قيمة اديبه حيث كان من شعرائه فخر تونس وبدرها العلامة الحليل شيخنا الحضر بن الحسين شيخ الازهر الآن متعه اليه بالعاقبة وبهذه المناسبة فاني اذكر ما علق بذهني من قصيدته ترفيها على القارى وجلبا لمتعته وان كان قليلا قال لافض فوه

فاعد مسود الحياة صباحا	بسط الهناء على الفؤاد جناحا
ما افتر نورك باسماء وضاحا	ايه يحيا الدهر انك مونس
خاللا بوجتك المضيئة لاحا	ونمهد ما اوحشتنا في سالف
الى ان قال	

فاسبد عليها ثوب جدانها امست تميح كما علمت مزاحا
ولنعد الى حكاية قول المتقدين قالوا مكث المؤلف في الحطة مدة الحيازة كما ذكر ولم يظهر عليها اثر ثوب الجد ولو في دائرتها الخاصة التي يتمكن فيها من

الاصلاح متى اراد بل ازداد سوء الحال وتمكن اليأس من الابلال هذا وانى احبب هؤلاء من غير تحيزا وحمية جاهلية بانه ربما عاقته موانع لا يقدر على صدها وان قول الشاعر

ماكل ما يتغنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
كفيل ببدء العذر واجنا مالنا واما المسؤول تلفاه فقد كتاب قال صاحب
الخدمة ذررت عرسا وام تكن غرسا فالأولى حيث ان تقول فاما منى عليه
الزمان واقبره مرور الايام ما قاله الشاعر من الدنيا
فكان ما قد كان ليس بكانن وكنان ما هو كانن قد كانا
اذ لا يبقى شي بدار الغرور يوم القيامة كفيل بتمحيص الامور

الصفحة العاشرة

« فلذلك قال العلامة الزمخشري في خطبة الكشف الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله على حسب المصالح منجما » فقال المحققون من شراحه جمع بين انزل ونزل لما في نزل من الدلالة على التكرير البني يناسب ما اراده العلامة من التدريج والتعجيم وانا ارى ان استفادة معنى التكرير في حال استعمال التضعيف للتعدية امر من مستبعات اللام حاصل من طريق عدول المتكلم البليغ عن التهموز الذي هو خفيف الى المضعف الذي هو ثقيل فذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما في مثل كلام الكشف قرينة على ارادة التكرير »

قال بعض الملاحظين انى لا ارى فيما رآه المؤلف شيئا زائدا على ما رآه المحققون من شراح كلام الكشف وغيرهم وعبارته توهم خلاف ذلك وانه راي خاض ينبغي ان يسجل باسمه وينسب اليه والحقير يجيب عن هاتما الملاحظة بان الاستاذ قد لا يخطر بباله ما فهمه هذا الملاحظ المماكس في التعبير ولو قيلت عوض « وفي راي » عبارة اخرى تؤدي المعنى المراد من غير ايهام لاسترحنا من هاتما المماكة وقد يكون اختيارها لما فيها من التفعيض والامر هن على كل مسالم

« وعز اشهاب الدين القرافي في اول انواء البروق الى بعض مشائخه ان العرب فرقوا بين فرق بالتخفيف وفرق بالتشديد فجعلوا الاول للمعاني والثاني للاجسام بناء على ان كثرة الحروف تقتضى زيادة المعنى او قوته والمعاني لطيفة يناسبها المخفف والاجسام كثيفة يناسبها التشديد واستشكله هو بعدم اطراده وهو ليس من التحرير بالمجل اللائق بل هو اشبه باللطائف منه بالحقائق اذ لم يرع العرب في هذا الاستعمال معقولا ولا محسوسا وانما راعوا الكثرة الحقيقية او المجازية كما قررناه ودل عليه استعمال القرآن الا ترى ان الاستعمالين ثابتان في

الموضع الواحد كقوله تعالى « وقرأنا فرقناه » قرئ بالتشديد والتخفيف وقال تعالى حكاية لقول المؤمنين « لا تفرق بين أحد من رسله » وهي تفرقة معنوية لا جسمية كما هو واضح

وقع اختلاف في معاد الضمير فقال البعض هو كلام القرافي وقال غيره هو كلام استاذة وقال آخر يرجع لاحدهما لاعلى التعيين وانه قصد به الاجمال جريا على عادة البلغاء وسنة الفصحاء فهو شبيه بما قاله بعضهم في اعور خياط يسمى عمرا داعيا له او عليه مخرجا للدعاء في صورة التمني وهو :

خاط لي عمرو قبا ليست عينيه سوى

ثم ان من قالوا انه عائد على القرافي اختلفوا في متعلق الاعتراض هل هو ذات كلامه او لازمه الذي هو الحديث في كلام شيخه وضعف حرمته عنده وكان الاليق به ان يفضى عن الزلة وخالفه آخر وقال ان كلام القسرا في غير صحيح في نظر الاستاذ لذاته لا لاقدم في كلام شيخه وعند ذلك رفعت صوتي وسوطي قائلا ان المحكوم عليه بالنزول في محن غير لائق هو كلام شيخ القرافي قطعاً وما فهمتموه عند اختلافكم في معاد الضمير مجرد وهم لان جملة محل احتمال مقصود للبلغاء ينافي قصد التعليم والبيان والقول بان كلام القرافي معترض لاعتباره عقوقا غير صحيح لان مقام التحقيق ارفع من مقام المجاملة الا مع الاسراف في التشنيع والاقامة على التقرير وقولكم انه غير صحيح لذاته ليس له معنى لان كلام الاستاذ لا ينافي ولا يصلح ان يكون ردا عليه بل هو كشرح له وايضاح لان كلام القرافي لا ينافي جعله من المطالب واغلبيته وانما ينافي اطراده واستمراره وعدم تخلفه فلم يبق الا وجوب عود الضمير على كلام شيخ القرافي وتوجه الاعتراض عليه وتقول عندئذ ان لشيخ القرافي ان يجيب بان ما اتى في المعاني مثقلا فلتشبيها بالاجسام وما اتى في الجسوم مخفقا فلتشبيها بالمعاني وما قلتم من ان العرب راعوا الكثرة في المثقل والقللة في المخفف ليس من التحرير بالمحل اللائق فصار الاولى اعفاء الفلاس من اجهاذه فيما لا طائل تحته والله يهدي من يشاء الى سراط مستقيم

الصفحة الحادية عشر

« وفي عد التفسير علما تسامح اذا العلم اذا اطلق اما ان يراد به نفس الادراك نحو قول اهل المنطق العلم اما تصور اما تصديق واما ان يراد به الملكة المسماة بالعقل واما ان يراد به التصديق الجازم وهو مقابل الجهل » وهذا غير مراد في عد العلوم واما ان يراد بالعلم المسائل المعلومات وهي مطلوبات خبرية يبرهن عليها في ذلك العلم وهي قضايا كلية ومباحث هذا العلم ليست بقضايا يبرهن عليها

فما هي بكلية بل هي تصورات جزئية غالبا لانه تفسير الفاظ واستنباط معان فاما
تفسير الالفاظ فهو من قبيل التعريف اللفظي واما الاستنباط فمن دلالة الالتزام
وليس ذلك من القضية»

من شأن الاستاذ ان لا يجحد عن السبر والتصفية والضبط والاستيعاب ولو
فيما يحسن فيه الاغضاء والافاي مانع من عد التفسير علما ببناء على غير الغالب
في نظره حيث قال بل هو تصورات جزئية غالبا فهذا صريح في انها قد تكون
بخلاف ذلك على انه لا يسلم له التساهج في عد التفسير علما ولو الغنا هذا الاعتبار
سواء اريد بالعلم الادراك او التصديق الجازم او المسائل المعلومة اذ كل الجهد في
جوف الفرا ولو اردنا الاستدلال لاجهدتنا الاطالة في القشور وادتنا الى نبش
كتب المنطق والحكمة لتثبت انه علم او غير علم وهل في اطلاقهم وتسميتهم
تسامح او تحقيق ولو قلنا هذا او سودنا صحفا لاثباته او نفيه لا بغضنا الفكر
الجديد الذي يبغض التافه من البحوث فليعذرنا الاستاذ اذ لا يرضيه غضبه وآخر
ما نقوله هنا ان الطبقة العليا من علماء المسلمين سموه علما فقولهم اولى بالتقديم
على قول قدماء الحكماء والمناطقه واحق بالمراعاة من اصطلاحاتهم واثارة الاعتراضات
التي لا تخطر الايال اصحاب المنطق والمقولات خالية من الفائدة لا سيما عند
مراد الاختصار التارك لاجله كثيرا مما تشدد اليه حاجته طالب التفسير ومن طالع
ه الاتقان في علوم القرآن ، عنده الخبر اليقين هذا ومن العجب الاقتصار على ذكر
تفسير ابي عبيدة ليت الاعشى من غير ايضاح بتطبيق الالفاظ على المعنى فهو اولى
من مما كتبه الخلف للسلف في تسمية التفسير علما هذا نظري الكليل وللإستاذ
اجله الله ان يقول

ونكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
ولن سموه علما ان يقولوا البيت ايضا اذا قيل لهم فيه تساهج

الصفحة السادسة عشر

« استمداد العلم يراد به توقيفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك
العلم عند مدونه لتكون عوناً لهم على اتقان تدوين ذلك العلم عند مدونه لتكون
عوناً لهم على اتقان تدوين ذلك العلم وسمى ذلك في الاصطلاح بالاستمداد على
تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد والمدد العون والفوات فقرنوا الفعل
بحرفي الطلب وهما السين والتاء »

توقف العلم على معلومات لا ينبغي ان يقال فيه استمداد له كما هو واضح

وانما الاستعداد توجه النفس الى تلك المعلومات والاستخراج منها ما يتأتى به اتفاق ذلك العلم وتدوينه والاصابة فيه بدلالة السين والذاء على هذا المراد فعبارة الاستاذ فيها تسامح اوضح من تسامح المفسرين في تسميتهم التفسير علما واشد منها احتياجا الى الجواب

الصفحة السابعة عشر

« واما استعمال العرب فهو التعلل من اساليبهم في خطبهم واشعارهم وامثالهم وعجوائدهم ومخادنتهم ليحصل بذلك لممارسه المولد ذوق يقوم عنده مقام السليقة والسجية عند العربي القح وهذا كما قاله آقا شيء وراء قواعد علم العربية وعلم البلاغة به بحتم انكشاف بعض المعاني واطمئنان النفس لهما وبه يترجح اخذ الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن ومن اجله نرى ائمة التفسير يكثرون من الشواهد من شعر العرب على الاستظهار في معاني القرآن الا ترى انهم لو اطلع احد على تفسير قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء » وعرض لديه احتمال ان يكون عطف قوله ولا نساء على قوله قوم عطف مبين او عطف خاص على عام فاستشهد المفسر على ذلك بقول زهير

وما ادرى وسوف اخال ادرى اقوم آل حصن ان نساء كيف تطمئن

نفسه لعطف المبين دون عطف الخاص على العام »

لا ادرى مراد الاستاذ بهذا الكلام الا بتر عند من لم يتعودوا بممارسة الكلام الغامض اريد انه يستمر داؤة ويعسر داؤة فيبقى مترددا بين الامر بين الى ما شاء الله وهذا هو الظاهر حيث استبعد الاستاذ الاطمئنان وراى وقوعه داعيا للعجب كما تدل عليه كلمة « كيف » ام يريد ان الذوق الصحيح الصريح والتدلى من استعمال العرب فحسب هو الذي يدفع حيرته ويقوده الى الحمل المراد في الآية الله اعلم بمراده فما في القلوب لا يدريه الا علام الغيوب ولعلنا قصد ان يقول بعد قوله « دون عطف الخاص على العام » « الا بالالتجاء الى الذوق العربي والعلم منه انه من عطف المبين لا من عطف الخاص عن العام » والذي روى بالكلام في هذا التعقيد جهل المشار اليه وحذف جواب ولو قد بلغنا مقصوده ان شاء الله فان اصبنا بفضله وان اخطانا فمن صومنا عن اكل الفتق بالعدل عجز الازهدا

الصفحة الثامنة عشر

« قال القرطبي سئل ابن عباس عن السنة في قوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » فقال النعاس وانشد قول زهير
لا سنة في طوال الليل تأخذه
ولا ينام ولا في امرة فند

فما يؤثر عن احمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن تمثل الرجل بيت شعر
ايمان معنى في القرآن فقال « ما يعجبني » فهو عجب وان صح عنه فاعلمه يريد
كراهة أن يذكر الشعر لاثبات صحة الفاظ القرآن كما يقع من بعض الملاحدة وروى
ان ابن الراوندي « وكان يزن بالاحاد » قال لابن الاعرابي « اتقول العرب لباس
التقوى » فقال ابن الاعرابي « لباس لابس واذا انجى الله الناس فلا تجي ذلك الرأس
هيك يابن الراوندي تكرر ان يكون محمد نيا افتكر ان يكون فصيحاً عربياً »

تعجب الاستاذ مما نسب لابن حنبل ولا ينبغي ان يعترض عليه بما ثبت عن
ابن عباس لان ابن حنبل مجتهد ايضا ولان زمنهما مختلف فقتان ما بين عصر
الصحابه وما يقرب منه وبين عصره الذي اشتعلت فيه نيران الفتن وبرز قرن
الشیطان وظهر ابن الراوندي وامثال امثاله فاستحب ذلك الامام طمس معالم
الدس بقول من في قلبه مرض هذا اللفظ غير عربى وذلك المركب غير صحيح
وذلك المعنى لا يعبر عنه العرب بما عبر عنه القرآن وراى التزام الاستدلال على
صحة كلام العرب المخلوقين بكلام رب العالمين فيحسن عنده تفسير ما في البيت
بما في الآية لا العكس فالاولى بالاستاذ اسقاط قوله فهو عجب وان صح عنه فاعله
الخ ثم لا يعزب عن ذهن اللبيب ان ابن الاعرابي قادر على افحام ابن الراوندي
بغير ما اجابه به لكنه عدل عنه نزولا على المعنى الذي اراده الامام قاصدا تقليده
ان تعاصرا او واقعا عليه من غير قصد ان تقدم او تاخر وساقته اليه الفطرة السليمة
من غير ان يعلم مذهب الامام رضی الله عنه فما اصح علم من تقدم ولا يخفى ان
ورع ابن حنبل وادبه سارت به الركب ان هذا لا ينافي طلب الاطلاع على الآثار
العربية من قصص واخبار واشعار ممن يريد التعمق في فهم القرآن لانها شبه
مستودع لشروة لغة القرآن غير ان واجبنا الاكتفاء باعتقاد انه من عند الله سالر
المعاني والآلفاظ صحيح اللغة فصيحها بليغها ولو لم نعلم على ما يؤيده منها في هذا
فاعتأونا بها واجب وجنوحنا اليها بالنسبة للقرآن كجنوح ابراهيم عليه السلام الى
رؤية احياء الموتى. صقل الله ناصئنا حتى ينيرها تعبيرة ويحييها تعبيرة

الصفحة التاسعة عشر

« ويدخل في مادة الاستعمال العربي ما يؤثر عن بعض السلف في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم كما روى مالك في الموطأ عن عروة ابن الزبير قال « قلت لعائشة وأنا يومئذ حديث السن ارايت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما على الرجل شيء ان لا يعترف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول لكنت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهلون لمناة الطاغية وكانت حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله عن ذلك فانزل الله ان الصفا والمروة الآية هـ » فبينت له مثار شبهة الناشئة عن قوله تعالى « فلا جناح عليه » الذي ظاهره رفع الجناح عن الساعي الذي يصدق بالاباحة دون الوجوب »

الصدقية وعروة رضي الله عنهما لا يند عن طبعهما ولا يشبه عليهما مراد الله من آية الصفا والمروة من حيث العربية والاستعمال لان سائغان متساويان لو ان السعي بينهما غير مطلوب سواء قيل ان يطوف او ان لا يطوف وطريقة الاستعمال لا يجهاها عروة وما حمله على اعتقاد ان الطواف بهما غير مطلوب الا جهل سبب النزول فتوهم شبه التناقض بين كونهما من شعائر الله ووقوع الطواف بينهما وبين رفع الجناح على الطائف وبنى عليه جواز الترك لتكون في نزولها فائدة غير معلومة من قبل ولو اقتضت ام المؤمنين على بيان سبب النزول لكفاها ولكنها زادت ايضا بعد ايضاح فهو يومئذ لا يجهل الاستعمال ويهتدي اليه عند علمه بطلب الطواف وسبب النزول ولو لم تذكره عائشة رضي الله عنها ومحملة صحيح لولا ذلك وقد وردت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم « ان لا يطوف » عن ابن مسعود فاضطربوا الى حمل لا النافية على الزيادة قرارا من منافاة الطلب الثابت بالسنة فالمثل لا علاقة له بجهل الاستعمال واذا كانت الامثلة غير موضحة لما يراد بيانه او موقعة في اللبس فمن الرشد تركها واقامة الاعتراض عليها ان ذكرت خلافا لمن قال مولعا بالسجع البحث في المثال ليس من داب الرجال وهي دغوى اصقع من الثلج فوق رءوس الجبال وقد راعينا في التنفير منها والصد عنها ذوق الفكر الجديد ولنختم باننا راجعنا بعض نسخ الموطا القلمية والمطبعة فلم نجد لمناة وصفا بالطاغية في في كلام عائشة رضي الله عنها فنسبة الاستاد ذلك اليها اشتباها قطعا

« قال ابن عطية عن عائشة رضى الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن إلا آيات معدودات علمه إياهن جبريل قال معناه في غيبات القرآن وتفسير مجمله مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف قلت أو كان تفسير لا توقيف فيه كما بين لعدى بن حاتم أن الحطي الأيض والحطي الأسود هما سواد الليل وبياض النهار وقال له انك لمريض الوسادة وفي رواية لمريض القفا »

إني أسألك الأستاذ اجله الله أفلا يجوز أن يكون ما بينه لعدى داخلا فيما ذكر ابن عطية عن أم المؤمنين ويكون ما فهمه عدى جائزا أن يراد من القرآن أولا التوقيف ويكون وصف عدى بعرض الوسادة لاشتغال المراد التوقيفي عند الصحابة وتقصير عدى في الاطلاع عليه والعمل به

« وأما اخبار العرب فهي من جملة ادبهم وانما خصصتها بالذكر تنبيها لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها لان القرآن انما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار لا لان يتحدث بها الناس في الاسمار فبمعرفة الاخبار يعرف ما اشارت له الآيات من دقائق المعاني فنحو قوله تعالى « ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا » وقوله « قتل أصحاب الأخدود » يتوقف على معرفة اخبارهم عند العرب »

لا اظن أن أحدا في عصرنا يقول أن الاشتغال بها غير مفيد ولو قيل ذلك في الماضي فما توهمه الأستاذ غير موجود الآن ويمكن وجوده في المستقبل اذا اعتنى المسلمون باللب واعرضوا عن القشور فتكون نصيحة الأستاذ الآن نافعة لهم في المستقبل أن شاء الله أما في حالتنا فهي غير محتاج إليها فعصرنا عصر الشوق إليها وإلى غيرها من حكايات وروايات وأشعار والأعراض بالقلوب عن كلام الله وحديث من جعله الله رحمة للعالمين فهو جدير بأن يسمى عصر القصص والشعر لا القرآن والحديث نعم نشكر الأستاذ على التحذير عما خافه وتوهم أن بعض الناس وقع فيه فاعتنى به اعتناء خاصا فترغبه مفيد لمن سيأتون أو سوف يأتون ولا ضير في التقديم أن أراد الله - الصلاح وقدر من له في خلقه كل يوم شؤن فحفظ آثار أولئك من حكايات وأشعار غير محدود من اللغو عند أولى الحفاة والاعتبار اما أن تقول أنه يتوقف عليه فهم القرآن ونمثل بالآيتين فلا نوافق عليه حتى على تقدير تزويلها في صحة تصويرها منزلة الأحاديث الصحيحة والأستاذ حفظه الله من أدرى الناس بهذا وبيانه أن ثمرة النبي عن أن يكونوا مثل التي نقصت غزلها لا يجتاحها الجهل بحالتها المدنية وإن قرع المكذبن الناهضين في آذاية الرسول والمعادة

من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن باحكامه فلا جرم ان يكون مادة للتفسير الحجة الثانية ان علم الاصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها »

من عوائد اهل الصدر الاول ومن يليه من مدوني العلوم الاسلامية ان لا يذكروا القواعد المدلولة لجزئياتها ومستفادة منها فياتي من بعدهم ويحوظون تلك الجزئيات بالقواعد المدلول عليها بكلام السابقين ويضبطون ما ايجملوه فعدم عدهم له من مواد التفسير ان ثبت من جميعهم لا يدل على انه نعم عليهم امرة وسكوت علماء العربية الاولى اطلعنا على تأليفهم عن تلك المسائل ليس بهمالا لها وانما كان تركا مقصودا واجتنابا مرادا حتى لا يخلطوا على الناس ويلبسوا ما ارادوه من بيان معاني مفردات وصيغ جموع او احكام لفظية تتعلق باواخر الذلمات او واسطها او معان تركيبيّة بلاغية بالمعاني التركيبية التي تترتب عليها الاحكام الشرعية من جلال وحرام ووجوه فصل بين الناس اذ تخصص لها فريق مستقل ملقب بعلماء الاصول وهو مجرد اصطلاح ولو اصطلاحا على ادخال هذا الفريق في علماء العربية واطلقوا عليه عنوانهم لما كان في الامر حرج وعابه فعلماء العربية قاموا بواجبهم المفروض فلا يشينهم الوصف باهمال ما فيه خير كثير والمتقدون عدوه من مواد التفسير تلويحا ان لم يكن تصريحنا وفقنا الله لفهم اقوالهم وكشف اجمالهم

« وقد عد عبد الحكيم والالوسي علم الكلام في جملة ما يتوقف عليه علم التفسير قال عبد الحكيم لتوقف علم التفسير على ثبات كونه تعالى متكلمًا وذلك يحتاج الى علم الكلام وقال الالوسي لتوقف فهم ما يجوز على الله ويستحيل على الكلام يعني من آيات التشابه في الصفات ولعل هذا التوجيه اقرب من توجيه عبد الحكيم وكلاهما اشتباه لان كون القرآن كلام الله قد تقرر عند سلف الامة قبل علم الكلام ولا اثر له في التفسير واما معرفة ما يجوز وما يستحيل فكذلك ولا يحتاج لعلم الكلام الا في التوسيع في اقامة الأدلة على استحالة بعض المعاني وقد ابنت لكم ان ما يحتاج اليه المتوسع لا يصير مادة للتفسير »

يقدم في الهجاء اقدم من يوقن بالفتك ولا يستريب

اقتضى النضر الحكم على الرجلين عبد الحكيم والالوسي بالوقوع في الخطا لكن خطأ الثاني دون خطأ الاول فحشا وهو فوز على الاول لا باس به وبعض الشراهن من بعض قد يعذر المؤلف في عد كلام عبد الحكيم اشتباها بالذكرة ولان فهم القرآن وتفسيره متيسر ان لا يتوقفان على اعتقاد انه كلام الله ولان

المفسرين الذين علمنا تفاسيرهم وطالعنا بعضها وكلها لم ينوها على ذكر اثبات صفة الكلام واكتفوا بما في انفسهم وانفس متناوليها من العقيدة ولكن الالوسي لا يصح الحكم عليه بما حكم به على عبد الحكيم لانه علل الاحتياج اليه بما قبوله ضروري فقد يضل الخالي منه عندما ياخذ في تفسير التشابهات فضل غيره فقد حكا المفسر ابن جزى عن مفسر لم يسمه انه اعاد ضمائر قوله تعالى في سورة « والنجم » « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى » اعادها على الله تعالى وتنزه عن صفات المخلوقين وهنا اسأل الاستاذ متواضعا منحنيا هل كان هذا المفسر المحكي قوله عن ابن جزى محتاجا في التفسير الى علم العقائد او غنيا عنه ثم نستوهم حلمه فقول ان عبد الحكيم المشهور بالايجاز الملحق بالالغاز لعله اراد بقوله لتوقف علم التفسير على اثبات كونه تعالى متكلما جميع الصفات العلية فيتلاقى حينئذ بالالوسي في صعيد واحد ثم ما المضرة في تسليم قولهما والاضعاء عنه على فرض انفردهما به وصحة بحثه فما في هاتئنا المماكة الا بعث المرأة على التفسير في اصحاب الفكر الجديد قبل الاستعداد وترشيحهم اليه عند اخذهم نصيبا وافر من اللغة العربية وحفظهم لمزاعم الجاهلية وحكاياتها لانها مما يتوقف التفسير عليها ولا يتوقف على علم العقائد وعلم الفقه في رأي الاستاذ اما رأينا المأمول انه صواب فهو الثناء على العلامتين رحمهما الله فيما رايا

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكي بكاهها فقلت الفضل للمتقدم

« ولم نعد الفقه من مادة علم التفسير كما فعل السيوطي لعدم توقف فهم القرآن على مسائل الفقه فان علم الفقه متأخر عن التفسير وفرع عنه وانما يحتاج المفسر الى مسائل الفقه عند قصد التوسع في تفسيره للتوسع في طرق الاستنباط وتفصيل المعاني تشريعا وآدابا وعلوما ولذلك لا يكاد يحصر ما يحتاجه المتبحر في ذلك من العلوم ويوشك ان يكون المفسر المتوسع محتاجا الى الامام بكل العلوم وهذا المقام هو الذي اشار له البيضاوي بقوله « لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفي الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها »

اريد من الاستاذ ساعده الله وادام الاستفادة من فيضه ان يجيبني على سؤالي الحجل وباتيني رشدي ما قوله في التأليف الحديثة المختصة بالدلالة على احكام شرعية كثيرة موزعة بين معاملات وعبادات ولم تكن سببا لنزول آيات هل صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم بعد تمام نزول القرآن او قبله اي قبل ان تم نزولها فان قال بالاولى اي بعد تمام النزول فهو غير مسلم مما له ادنى صلة

بالعلم لانها شرعت ايضا احكام كثيرة في زمن الرسول ولم ينزل فيها قرآن أصلا وشرعت ايضا احكام كثيرة عرفت قبل نزول قرآنها ولذلك امثلة كثيرة ذكرها في الاتقان بعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه من ذلك الوضوء والصلاة والزكاة فانها عرفت من الفعل والقول النبويين قبل نزولها في القرآن فدعوى ان الفقه لم يعرف الا من القرآن مرغوب عنها وان قال بالثاني أي ان بعض الاحكام عرفت قبل نزول القرآن نزل فيها او لم ينزل في شأنها شيء منه فلماذا لا نعيده مادة التفسير ونعطيه رتبة الاخبار العربية من العون عليه والآبنة فيه وان من المعلوم ان بعض العلماء افررد الاحاديث القضائية بالتأليف كابن دقيق العيد وابن شعبان وغيرهما ممن نجهله وتعلمه مكتبة الاستاذ العامرة ثم يقول للاستاذ ان كلام البيضاوي صريح في ان تعاطى التفسير لا يليق الا بمن نال درجة عليا في العلوم التي ذكرها ولو اراد ما فهمه الاستاذ وحمل كلامه عليه لقال لا يليق تعاطيه والتصدي للتكلم فيها اذا اراد اخراج تفسير عظيم جامع الا من برع لكنه لم يقل فوجب حمل كلامه على ظاهره ولا داعي للتأويل عند صحة الظاهر فهو يريد من المفسر ان يكون بارعا في العلوم المذكورة ولو كان ملما متوفرا وقد حمل على هذا الاشتراط هول مقام التفسير والحشية على كلام الله من ان يتصدى من ليس له فيها مقام كبير بدليل الاوصاف التي الحقها بتلك العلوم وهي الدينية والعربية والادبية ولو اراد المتوسم فقط لمراد الطبيعية والفلكية والسحرية والتاريخية على الاقل لان القرآن ذكر النبات والحيوان والكوكب وهاروت وماروت والاقوام الهالكين بتكذيب الرسل من العرب وغيرهم هذا هو الظاهر المنساق مع الطبع ولا يعدم المتكلف طريق الاعتساف ومجاوزة الانصاف جوابا وخاتمة هذا التعليق قولنا ان في القرآن مشكلات ومتشابهات منها ما يتعلق بالعقائد ومنها ما يتعلق بالاحكام فاذا كان المفسر خاليا من علميهما وعرضت له تلك اديات خبط عشواء

الصفحة الرابعة والعشرون

« ثانيا ان لا يتدبر القرآن حق تدبره فيفسره بما يخطر له من بادىء الرأى دون احاطة بجوانب الآية ومواد التفسير مقتصر على بعض الادلة دون بعض كان يعتمد على ما يبدو من وجه في العربية فقط كمن يفسر قوله تعالى « ما اسألك من حسنة فمن الله » الآية على ظاهر معناها يقول ان الخير من الله والشر من فعل الانسان بقطع النظر على الادلة الشرعية التي تقتضى ان لا يقيم الا ما اراد الله غافلا عما سبق من قوله تعالى « قل كل من عند الله او بما يبدو من ظاهر اللغة

دون استعمال العرب كمن يقول في قوله تعالى « وآتينا نمرود الناقة مبصرة فيفسر مبصرة بانها ذات بصر لم تكن عمياء فهذا من الراى المذموم لفسادة » يجب ان يقال عند ما يسمم كلام هذا المفسر انه القى نفسه في اليم قبل ان يدر بها على السباحة فصار العطب اقرب اليه من السلامة فلو كان ذا نصيب من علم الكلام الذى ابنى الاستاذ ان يجعله من مواد التفسير لما وقع في الغلط الذى يخشى منه على عقيدته وقد فهمت من كلام الاستاذ هنا رجوعه عما صرح به في صفحة عشرين من تقليط الالوسى في عد علم العقائد من مواد التفسير ولا ضير في النزول عن الخطا بعد ركوبه والرجوع الى الحق بعد ما تبين فذلك شان الابرار وهذا وانى عوضت « ما » في آية « قل كل من عند الله » بـ « من » الجارة لانى وجدها صحبتها في القراءات العشر او لا ولان المعنى يحتم احلال « من » محل « ما » ثانيا وبعد فقد امعنت النظر في قول مفسر « مبصرة » في آية ناقة صالح عليه وعليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام فوجدت خطأ غير الجهل باستعمال العرب لانهم يستعملون لفظ « مبصرة » في كلا المعنيين المعنى الذى اراده هذا المفسر بخطئا والمعنى المجازى الذى اهمله وانما اوقعه في الخطا خمود الفطنة وكثرة استعمال الكلمة في المعنى الذى حملها عليه فظن ان الحمل على الاكثر اولى اينما وقع ترجيحاً للحقيقة على المجاز وغفلت عن استعمال القرآن في خصوص هذا الموضع فلو قيل انما اوقعه في الخطا ضعف فطنته - وجهله بالمراد - لسلمت العبارة من الانتقاد ، لانا لا تصح الا اذا كانت العرب لا تستعمل تلك اللفظة اصلا في المعنى الذى اراده المفسر المفروض ، ذو القول المرفوض هذا وليعلم من ارادوا تنوير - الفكر الجديد عموما بان ذوقه يعد الخطا في القاعدة كالحطاي في امثلتها فليخذروا غضبه واليتربص المستعجلون وليحرم المتاملون

الصفحة الخامسة والعشرون

« ثالثها ان يكون له ميل الى نزعة او مذهب او نحلة فيتناول القرآن على التفاؤل ويصرفه عن المراد ويرغمه على تحمله ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف فيجر شهادة القرآن لتقرير رأيه ويمنعه عن فهم القرآن حق فهمه ما قيد عقله من التعصب عن ان يجاوزة فلا يمكنه ان يخطر بباله غير مذهبه حتى ان لم له بارق حق وبدا له معنى يبين مذهبه حمل عليه شيطان التعصب حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقدك كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له معنى قوله تعالى « القدوس » انه المنزه عن كل صفات المحدثات حجبته تقليده عن ان يتقرر ذلك في نفسه ولو تقرر لتوصل فهمه فيه الى كشف معنى ثان وثالث ولكنه يسارع الى دفع ذلك عن

خاطرة - مناقضته مذهبه وجود الطبع على الظاهر مانع من التوصل للفور ومن
امثلة ذلك من فسر من الشيعة « ان علينا للهدى » ان ذلك اسم على مضاف لضمير
الجلالة فهذا يمشي مع ما يصلح له الرسم دون النطق وكذلك تفسير المعتزلة قوله
« الى ربها فانظره » بمعنى انها تنتظر نعمته ربها على ان « الى » واحد الالاء مع ما
في ذلك من الخروج عن الظاهر وعن المأثور وعن المقصود من الآية »

وضع المعتزلة المفسرين للآية بما ذكر الاستاذ موضع الشيعة المحرفين لها
بما لا يوافق عليه طبع ولا يسوغه شرع ولا يساعده نطق واحلالهم محلهم في
البعد عن الرشد لا يلبق بمن يهوى التحرير . ولا يجارف في التعبير . اذ تفسير
المعتزلة مبني على المبالغة في التنزيه وليس فيه عدول واضح عن الظاهر والا
قلنا تفسير آية « الرحمن على العرش استوى » ان تفسير « استوى » فيها باستولى
على مذهب بعض اهل السنة وبعض المعتزلة خروج عن الظاهر ايضا لكن عدول
اهل السنة عن الظاهر في آية الرؤيا لصحة حديثها عندهم وتواتره بينهم وصحة
اندراجها في الاحاديث التي تفيد بيان القرآن الدافع لصدورها من النبي صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون »
وتأويل المعتزلة للآية لا يختلف معناه بينهم سواء قدروا « الى » اسما او قدروها
حرف جر وقد قالوا بكليهما ولم يخالفوا بين معنيهما بالنسبة لحاصل معنى الآية
عندهم ولا يقر بهم تفسيرهم لها الى الكفر بل هم من الكفر فروا كما قال امام دار
الهجرة في شانهم اما الشيعة المفسرون « ان علينا للهدى » بما سلف فان تفسيرهم
يكاد يغمسهم في الكفر اذ يصح ان يقال فيه انه تلاعب بالقرآن ، واستخفاف بمراء
الرحمان .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

المصفحة الثامنة والعشرون من المقدمات

« الثاني ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها
الى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع الى ما هو
المهم عنده والذي يجول في خاطره وهذا كمن قال في قوله تعالى « من ذا الذي
يشفع من ذل ذي إشارة للنفس بصير من المقربين الشفعاء »

هذا القائل شبهه بمحرف آية « ان علينا للهدى » فالاولى طى مثل هذه
السخافات او تعقبها بالانكار كما فعل ابن الجوزي في كتابه المسمى « نقد العلم

والعلماء او تلبس ابليس » لانه حائم على دائرة - الباطنية او واقع في ساحتها اما بسطه والتوسم فيه وذكر ما سعى امثاله به الشيخ محي الدين قدس سره واستحسانه فقد يفهم منه انه لا باس به والصوفية لهم شطحات لا ينبغي لامثالنا ان يشاركوهم فيها ولا ان ينكروها عليهم فقد دخلوا مواضع لم ندخلها وعرفوا اسبابا لم نعرفها وفي قصة كلهم الله مع الخضر عليهما وعلى نبينا الصلاة والتسليم الخبر اليقين وقد ذكر عن صالح صوفي قوى البدن ان شاهدة شابان يولم بائسما ريشا طاعنا في السن بالضرب والإهانة فاراد احدهما ان ينقذه منه ويفعل معه مثل فعله مع ذلك البائس الفقير فنهاله رقيقه ثم ردة عنه باللس والاسترحام فقبل الصوفي شفاعته وقال له لو علمت يا بني لا ستقلت مني ما رايت ثم انصرف ضاحكا قائلا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت انك جاهل فعذرتك
ثم تبين بعد للنشايين اللذين نصراه ان المعتدى عليه بفتح الدال من اسفل المجرمين السفاكين المتفلتين من لقضاء الشرعى الديوى فاقوال الصوفية الحقيقية واعمالهم فوق ادواقنا وبعيدة عنها بعد طيب الريق وعذوبته وبرودته عن افواه البخر المحمومين واين من اشربت قلوبهم حب رضاء الله ممن قتنوا بحب المال والحياة والرفاهية وما احسن في المقام قول استادنا العلامة شيخ الاسلام محمد بن يوسف نعمه الله ان للشيخ محي الدين بن عربي جواهر لا تتمكن منها الا الجسوم الشفافة بارواحها المشرفة

الصفحة الواحدة والثلاثون

« ان القرآن الكريم انزله الله تعالى كتابا لصالح امر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى « وانزلنا عليك الكتاب تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (١) المراد من كل شيء انما هو كليات الاشياء واصولها فيما يرجع الى ما جاء القرآن لاجله غير ان ظاهر كلام الشاطبي وغيره ان ذلك فيما يرجع الى الاحكام وانا لا ارى تخصيص ذلك بذلك

كلام الاستاذ صريح في انه داخل في عموم المفسرين المتفقين على ان المعنى المراد هو كليات الاشياء واصولها فيما يرجع الى ما جاء القرآن لاجله فهو غير راء في الآية رأيا مجديدا فالاولى الآن حمل كلام الشاطبي ومن معه على غير ظاهره كى لا يشذ عن عموم المفسرين ويخرج عن اجماعهم المتعقد بانضمام اليهم ومن الواجب ان لا يحملهم مقتضى ظاهر كلامهما لانهما لو قيل لهما ايدخل في عموم كل شيء من مشمول الآية ما يرجع الى الاحكام فقط ام يدخل فيه ايضا ما يرجع الى تصحيح العقائد واصلاح النفوس وبقيّة الاقسام الثمانية التي قلها لقالا هذا ما

أردناه لا ذاك وتبرأ من ظاهر عبارتهما وإذا كبا بهما الإفصاح . فما على الدال
 بلسان حاله من جناح هذا واني لا عجب من الاستاذ سامحه الله حيث اعد للمعاملة
 صاعين أحدهما سمح والآخر شحيح فكال لليضاوى بالسمح واول كلامه ليخرج
 به الى موافقته في عد الفقه والعقائد غير محتاج اليهما المفسر الذي لم يسرد التوسع
 خلافا لعبد الحكيم والسيوطي والالوسي وكال لناصر السنة وخضم البدعة ومن معه
 بالميكال الناقص فشج بتاويل كلامهما ولم يعدل به عن الظاهر فابقاهما مخالفين له
 ولبقية المفسرين والاولى ان لا نعاتبه على ما رآه فقد جرت سنة الكون بتفاوت
 حظوظ الناس في دنياهم واخراهم

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه
 اعمسى واعشى ثم ذوا بصر وزرقاء اليمامة

ولا يقتضى عجبنا من صنيعه انكارنا لتوقيعه

الصفحة الثانية والثلاثون

« ولتكون الامة المتلقية للتشريع والناشرة له امة قد سلمت من افن الراي
 عند المجادلة ولم تقعد بها عن النهوض اغلال التكالب على الرفاهية ولا عن تلقى
 الكمال الحقيقي اذ يسبب لها خلطه بما يجر الى اضمالاه »

ما احسن كلام الاستاذ هنا واجمله فان التكالب على الرفاهية سبب كل بابة ولكن
 قعودها بالتكالبين عن النهوض فيه نظر قوي فانه من اسباب النهوض المادي قطعاً
 ولولا حبها ما جدت الامم في اعدائها هذا الجهد الذي سد عليها سبل التفكير في
 امر المعاد . وقطعها عن الراحة والظفر ايضا بالمراد . حتى شملها من من ارادهم
 قوله تعالى « يعلمون ظاهرا من الحياة وهم عن الآخرة هم غفلون » نعم يسلم
 كلام الاستاذ فيما يتعلق بالنهوض النفسي الاخلاقي فان التكالب في حبها يقعد بهم
 عنه اذا لولاه ما اكلت الرشا اكلاما . وما حب المال حبا حيا . ولا خان المؤمن
 واخلف الواعد . ولا رفع المنحط ونزل الصاعد . ولا سفكت الدماء بغير حق .
 ولا عومل المطالب بحقه معاملة غير المحق . ولا جل ذلك فان التكالب عليها لا
 يتحقق انه عائق عن النهوض الا في الاخلاق ولنعد الى ما يتعلق بقوله آخر الصفحة
 « اذ يسبب لها خلطه بما يجر الى اضمالاه » فهو غامض جدا وقد كلفني احد
 الاصحاب بياناً له فلم اقدر حيث اتى به مرسوماً في ورقة فطلبت منه ان ياتيني

بالكتاب لعل اتوصل الى الفهم بالنظر فيما قبل وفيما بعد، فوقعت على التعليق بآخر الصفحة وقوع الضمان وقلت له دونك التعليق فاقرا تهتد فاحتج بانه رآه قبل وهو غير محتاج لان ادله عليه وانما يريد بيانه من التركيب الموضح بالتعليق الشبيه بترجمة الاعجمية الى العربية فقلت اليس كافيا في المراد فقال دعني من محاورتك الحالية وبين معاد الضميرين والاعراب فقلت اما الاعراب فنعم فقال ان الجنوح الى السهل طبع فيكم ايها الشيوخ فقلت ذاك جهدي والسلام

الصفحة الثالثة والثلاثون

« ولو لاختبة التطويل لبسطنا كيف كانت احوال الامم المعاصرة للعرب في ذلك الوقت »

قد بسط المؤلفون من المؤرخين وغيرهم من العلماء ما كانت عليه الامم قبل البعثة عربا وعجماء وانهم كانوا كاسنان الحمار لكن الفساد انواع والمساوي اوزاع والموازنة عسيرة ومن اشنعها وأد البنات وانكار النبوات وقتل الجماعة بالفرد ومقابلة الارشاد بالاذابة والصد وعبادة الجماد . والنذر له بذبح الاكباد . وفي قوله تعالى « يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين بهرتهن يقترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبائعهن واستغفر لهن الله غفور رحيم » بيان لبعض مخازي ذلك الوقت في احد الشقين واني اشعر ان وقت الذاكرة انه ذكر العلامة محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله في رسالته التوحيد ما تبشعر من بعضه الجلود وقال بعده ان اسم ذلك العصر لم تكن احسن حالا من العرب ولم يوهم التفاضل او يقل غير ما يعتقدو في بطون الاسفار ما يملأ النفوس يقينا بتعميم الرحمة في الرسالة المحمدية عند زمن تجرد اهلها في احوالهم الفردية والاجتماعية من النظام . وتسارعوا الى العيث وقطع الارحام . فيالها من رسالته عامة كانت رحمة للعالمين اشرق نورها على العرب اذ كانوا احوج الناس اليها ثم انتقل لغيرهم فصيرهم اخوانا متحددين في نصرها ونشرها عاملين بقوله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون . بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »

الصفحة الخامسة والثلاثون

« هذا ما بلغ اليه استقراى وللغزالي في احياء علوم الدين بعض من ذلك »

انني ممن يعتقدون جواز توارد الخواطر كجواز وقوع الحافر على الحافر .
 مثلما قال الحريري ومن يشنون على من يسمع كلام شاعر متأخر فيظن ان
 معاني شعره او بعض الفاظها مسروق من متقدم واضع البقين موضع
 الشك وهذا بمجرد الخطور على البال ، لا عن تحقيق واستدلال . فيكون حكمه
 مبني على حب نسبة القصور للمتأخر وهذا منشؤه الحسد وحب الطعن وكذلك
 التأليف قد يبالغ ما ينال الشعر ولذلك صادمت بعض رفقاى في اعتراضه على
 الاستاذ بان ما ذكره مستمد ومنحوت من كتاب جواهر القرآن لحجة الاسلام
 الغزالي فانه في هذا السبيل غاية . وفي الحسن نهاية . وان كتابه لينوع تقتصر
 منه الدلاء . والله يؤيد من عباده من يشاء . فلو قال الاستاذ عوض ما قال وللغزالي
 في جواهر القرآن فيض من ذلك لكان افيد وادل . ولا نوب المولعين بالانهمار
 اركس وادل . وقد اجبت عن الاستاذ بان كلامه لا يقتضي انه استقراى من القرآن
 مباشرة فيجوز ان يكون بواسطة وبدونها واذا كان الامر هكذا فالاعتراض غير
 وجه . ايها صاحب الفقيه

« فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث اما الاقتصار على الظاهر من المعنى الاصلي
 للتركيب مع بيانها وايضا هو الاصل واما استنباط معاني من وراء الظاهر
 تقتضيها دلالة اللفظ والمقام ولا يجا فيها الاستعمال ولا مقصد القرآن وتلك هي
 مستبغات التراكيب وهي من خصائص اللغة العربية للمباحث عنها في عام البلاغة
 ككون التاكيد يدل على انكار المخاطب وتردده وكفجوى الخطاب ودلالة الاشارة
 واحتمال المجاز مع الحقيقة »

انار رفيقي القديم الذي كنت معه عند سرد هذا الموضوع اعتراضا على عدم
 ذكر علم الاصول بعد علم البلاغة ليفيد المؤلف انه مما يبحث فيه عن الفجوى
 والمعطوفين بعدها في علم الاصول لا في علم البلاغة فان ذلك تابسم لعلم الاصول
 الا لعلمها وقد اجبت بانها اراد ذكره وغفل او اختصر اذ لا يخفى على المخاطبين
 ان دلالة الفجوى والاشارة مما يبحث عنها فيه وان ذكر قول ابن مالك - وحذف
 ما يعلم جائز - البت يحطم اعتراضك فاحند قائلا سبحانه الله يشيب المرء على ما
 شب عليه انت مولع بالكف في الاجوبة وابطال الاعتراضات من حين حضورنا
 بدرس شيخنا العلامة عثمان بن الخوجة رحمه الله وقد مضى على دراستنا نحو

خمس قرن الا ان الفرق بين حالتك ان اجوبتك في عهد الشباب لم تطل من
حرارة اما الآن فهي ثلجية فما اجدرها بان تترصد بالقائها زمن الصيف فقلت
له لا تنس يا اخي ان الحر والقر لهما علاقة بالنس فسمكت حديثه وقال انك
ذكرتني ما انسانيه ما وقف بنا على روضة القبر من شيب وهرم بعد ما تعلمناه عند
اخضرار العود ورواء الشباب فسبحان من قال « ومن نعمة تنكس في الخلق افلا
تعلمون » فقلت اتذكر ما ابداه شيخ شيوخنا العلامة سالم
ابو حاجب رضى الله عنه فقال ان في الآية « طوفاً مخوفاً » مع عاطفه اى

« والخلق » بضم الخاء واللام وانهم يسمون هذا اكتفاء ومن امثلته قوله تعالى
« سرايل تقيم الحرب » اى والبرد فقال نعم زادك الله يقظا وانى لا زلت اعتقيد
صحة اعتراضى ويمنه ايضا اذ لو لافاتنا هذه الذكرى وهذا التذكير فاحمد الله
على اثارته فقلت نعم فيه يمن وفيه شؤم لانه جربنا الى الخوض في الحذف وفي ذلك
اشعار بقرب حذفنا من دار الغرور فقل هذا هو اليمين كما فبحرنا بها يشمر
بقربنا من لقاء الله فقلت حججتنى جعل الله يومى قبل يومك او قريبا منه ثم كان
الوداع وفي الاخرى يطول ان شاء الله الاجتماع

وحبيب الفتنه فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
وافترقنا حولا ولما التقينا كان تسليمه على وداعا

الصفحة السادسة والثلاثون

« وان بعض مسائل العلوم قد تكون اشد تعلقا بتفسير آى القرآن كما نفرض
مسألة كلامية لتقرير دليل قرآنى مثل برهان التمانع لتقرير معنى قوله تعالى
« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا » وكنتقرير مسألة التشابه لتحقيق معنى نحو
قوله تعالى والسماء بيناها بايد وهذا كونه من غايات التفسير واضح وكذا قوله
تعالى « او ام ينظروا الى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها ومالها من فروج » فان
القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين اسرارها
وعلمها بما هو مبين في علم الحياة كان قد زاد المقصد خدمة »

يؤخذ من كلام الاستاذ انه تراجع عما اسلفه بصفحة عشرين من الانكار
على عبد الحكيم والالوسى رحمهما الله في عدهما علم العقائد من مواد التفسير واذا
كان الظن صادقا وهو الاقرب بل المتحقق لانه سبق هذا ما يفيد رجوعه فصار
هذا الرجوع مستفادا من موضعين فقد سقط القول بان الاستاذ شانه المضى فيما
ارتآه والولوع بقول الحماسى

إذا هم القى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانياً
وبأنه يعد الرجوع منافياً لعلو الهمة ولو بعد تبين الحق فإن قصد بهذا الرجوع
عما سبق منه بصفحة عشرين فهو فضيلة وإن لم يقصده نقد وقم في التناقض ولا
يبده في دفعه أن يقول أن ما ذكرته مما يوهم التناقض في الموضعين إنما هو خاص
بمن يريد التوسع في التفسير لا لمن يريد التبان المضيق أو المتوسط لأن ما ذكره
عقب الآيتين مستمد من علم العقائد ومحتاج إليه المفسر سواء أراد الاجمال أو
التفصيل مطولاً أو موجزاً والحقيقة بنت البحث والتأمل والاتصاف المشرق في كل
أفق وما على الراجعين إليه بعد التوبة والتكفير عن الحوبة من بخس ولا رهق

الصفحة السابعة والثلثون

وأما أبو اسحاق الشاطبي فقال في الفصل الثالث من المسألة الرابعة « لا يصح
في مسلك الفهم والافهام إلا ما يكون عاماً لجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما
يقدرون عليه وقال في المسألة الرابعة من النوع الثاني - ما تقرر من أمة الشريعة
وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب تنبني عليه قواعد منها أن كثيراً من
الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فاضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين
أو المتأخرين من علوم الطبيعات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف واشباهها وهذا
إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح فإن السلف الصالح كانوا أعلم بالقرآن وعلومه
وما أودع فيه ولم يلقنا أن أحداً منهم تكلم في شيء من هذا سوى ما ثبت فيه من
أحكام التكليف وأحكام الآخرة نعم تضمن علوماً من جنس علوم العرب وما هو على
معهودها مما يتعجب منه أولو الأبواب ولا تبلغ ادراكات العقول الراجحة الخ »

أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ علامة
زمانه عرف بين العلماء بغزارة العلم وقوة الحجة وعلو الهمة والتقوى والزهد
وصحة البصيرة تخرج عنه علماء أفذاذ منهم ابن عاصم صاحب التحفة القاضي
بالاندلس وأخوه وغيرهما من المشاهير وأخذ على أعظم علماء وقته مثل سعيد
بن لب وفاقهم وله تأليف أشهرها « الموافقات » وه « الاعتصام » وهما كتابان من
دخائر الاسلام ومفاخره قال فيهما العلامة المنعم الشيخ رشيد رضا صاحب
مجلة المنار الدينية العلمية المشهورة عند أكابر العلماء قال « هما كتابان صالحان
لبعث الحياة في الأمة الإسلامية ورجعها إلى أخلاق السلف يفوقان العدد الكثير من
مجلداتها وقد جبرت بينه وبين علماء عصره من الاندلس وغيرها مناظرات في
مسائل علمية حالفه فيها التفوق ومن المناظرين له الامام ابن عرفة وليس المقصد

استيفاء الترجمة فهي في كتبها بل الفات النظر الى الكتابين ثم ذكر علامة تونسي في شأنهما وهو اخونا الروحي الاستاذ محمد بن سليمان المتوفى سنة ١٣٧٠ فقد قال لي ولغيري سرات «مهما طالعت سفر من الغزالي او ابن العربي او ابن رشد او الشاطبي الاطوبته وفي نفسي جموح عن تسليم بعض الآراء وقد اسلم بعد رسوبها وقد استمر مخالفا لامع الشاطبي فاني استسلم بعد النظر فقلت انت في نظرك لرأيي كنظر ابي نواس لوجه موصوفه حين قال

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظار

فقال نعم احسنت جدا هذا وابن سليمان علامة نظرا صحيح النقد قعد به ميله الى العزلة واقفته ورهده عن ان يشار اليه بالاصابع وهو ايضا اديب ماهر موفق متفوق رحمه الله وجمعنا به في دار السلام

الصفحة الثمانية والثلاثون

« وهذا مبني على ما اسسه من كون القرآن لما كان خطابا للاميين وهم العرب فانها يعتمد في مسلك فهمه وافهامه على مقدرتهم وطاقاتهم وان الشريعة امية وهو اساس واه لوجوه احدها ان ما بناء عليه يقتضي ان القرآن لم يقصد منه اتقال العرب من حال الى حال وهذا باطل لما قدمناه قال تعالى « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا الثاني ان مقاصد القرآن راجعة لعموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد ان يكون فيه ما يصلح لان تتناولها افهام من ياتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الامة الثالث ان السلف قالوا ان القرآن لا تقتضي عجائب يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لاقتضت عجائبه بانحصار انواع معانيه الرابع ان من تمام اعجازه ان يتضمن من المعاني مع ايجاز لفظه ما لم تق به الاسفار المتكاثرة الخامس ان مقدار افهام المخاطبين به ابتداء لا يقتضي الا ان يكون المعنى الاصلي مفهوما لديهم فاما ما زاد على المعاني الاساسية فقد يتهيا لفهمه اقوام وتحجب عنه اقوام ورب حامل فقه الى من هو افقه منه . السادس ان عدم تللم السلف عليه ان كان فيما ليس راجعا لمقاصده فيحزن نباعد عليه وان كان فيما يرجع لمقاصده فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا فكان ذلك في علوم عنوا بها ولا يمنع ذلك ان نقفي على آثارهم في علوم اخرى راجعة لخدمة المقاصد القراءانية او لبيان سعة العلوم الاسلامية » الحمد لله على انتهاء اوجه الرد التي كدنا ان لا نخالها تنتهي الا عند انتهاء الكتاب ولولا خوف الغفلة لا حلنا المطالعين في ردها على مراجعة كلام الشاطبي والتأمل منه عند التوقف

في تقضها فانهما كهيلا نبرد هذه الاعتراضات لكن لابد من البيان والسبر على قدر طاقة الضعفاء وان كان الاقوياء والمتوسطون غير محتاجين اليه والله المستعان الوجه الاول من الواجهة الستة يرد بان كلام الشاطبي لا يقتضي بحال ان بقاء العرب على ما كانوا فيه من الضلال مراد للقرآن وان القرءان ياتي انتقاهم عن تلك الحالة ولو كان ما نسب الاستاذ لعبارة الشاطبي صحيحا حكم علماء عصره عليه بفسق الاعتقاد ان لم يحكموا بكفرة لكنهم لم يفعلوا لان صريح عبارته قريب من تفسير قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم محريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ومصدق قول صاحب البردة

لم يمتحننا بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهر

ولم ادروجه الرد بقوله تعالى « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » الا اذا قدرنا توهم الاستاذان الشاطبي قال « ان القرآن ياتي خروج العرب عن ضلالتهم وانتقاهم عما كانوا عليه قبل نزوله » لكن فنشنا عن هذا فلم نجد له اثرا في كلام الشاطبي وغاية ما يرمى الله كلامه انه يسر فهمه للامتين ولم يقصره على العلماء والحكماء والمكتشفين والمختربين ولينظر المريب الى قوله تعالى في سورة الانعام « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده وافقوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا سراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » ومثل هذه الآيات غالب القرآن كسورة العصر مثلا فالهداية بها لمن وقته الله وفهم المراد منها شاملا ولو كان غالب القرآن من نوع المشابه لكبسا في فهمه الاميون ولم يحصل من تاثيره في اصلاح النفوس واشراقها ما حصل فهذا ايضا مما عناه الشاطبي بقوله الذي اسلف نقله الاستاذ وعده اساسا واهيا وغضب لاجله غضبة مضرية كانت عند ضعفاء العقول قبلة ذرية سقطت على مقرابي اسحاق قصيرته اثرا بعد عين الرد على الثاني من الواجهة ان يقال فيه انه او هي من الاول حيث ان ناصر السنة لم يقل ان الدعوة خاصة بالاميين العرب فلا يتحمل دليلها وهو القرآن ما يصدق عن افهامهم الان وغدا وبعد غد الى يوم القيامة ولو اتى من ذريتهم او غيرها من لم علم الحضر وحكمة لقمان وعقائد الما تربدي والاشعري

وفقه مالك والنعمان فنزيد حيثن على رد المؤلف ونقول ساحك الله يا صاحب
« الإعتصام » و « الموافقات » هذه ظلمات بعضها فوق بعض وأما الجواب على الوجه
الثالث من أوجه الرد فيقال ان الشاطبي ربما لا يسلم ان ما ذكره الاستاذ قول
السلف وعلى فرض تسليم سلفيته فلا يسلم ان عجائبه محصورة في كثرة معانيه اذا
يسلم هاته فانه يحملها على المرادة لاصلاح النفوس والاعمال والنيات لا المرادة
لاستخراج المجهولات وتقدير المساحات وتقويم المخترعات ويرد الرابع بان ترك
تحميله ما لا يقتضيه الفاظه لا يقدح في الاعجاز وانكار الشاطبي متوجه اليه قطعاً
فان من يحمل القرآن من المعاني ما تأباه الفاظه سيء
الاعتقاد فيه او جاهل او مرآء فكثير من يطلبون السمعة بطرق هذا الباب
ويتهاقون فيها وقد يكون صديق احق اضر من عدو فيقول القرآن فيه كل علم
ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة ثم اذ ارد عليه قوله اجهد نفسه في التكلف وهو لا
يريد الا تفخيم شان القرآن في قلوب الماديين المكذبين به جاهلاً انه غير محتاج
لالتفيق ولا لاكتساب رضاهم به بل المنته له عليهم ان رضوا عنه قال تعالى
« قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يعم عليكم ان هدايكم للإيمان ان كنتم
صادقين » وسياقي زيادة بيان وبحث فلتتم دفع ردود الاستاذ على ابي اسحاق
الخامس منها يطلبه ان الشاطبي رضى الله تعالى عنه لم ينكر ما رد به الاستاذ
عنه ولا يقتضي كلامه خلافاً لا بطريق المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام ولا
الالتزام ولا الحقيقة ولا المجاز بجميع انواعه من مرسل وكنية واستعارة ونقول
على الرد الاخير السادس ان الشاطبي لا يجهل اتساع دائرة القرآن وغزارة
منافعه ومحاصيله المرادة لمنزله كما يشهد بذلك كتاباه المشهوران وانما انكاره متوجه
للمتنطعين المتكلفين هذا وان الموضوع غير محتاج الى الاطناب الممل فان وضوحه
مستغن عنه « بدري ارق محاسنها والفرق مثل الصبح ظاهر » ومما يحملنا على
الاكتفاء مراعاة ذوي الرأي الجديد المراد تنويره من الاستاذ فانه يكره التطويل
الا في المباحث المفتقرة اليه وهذا من محاسنه التي يشاركه فيها كثير من ذوي
الرأي القديم الذي لا يحتقره وتضمن مع هذا نص او فر الرأيين توفيقاً اذ لا
عداوة لنا مع احدهما ثم فليعلم الاستاذ دامت كرامته ان دفاعنا عن الشاطبي مبني
على نقله عنه هنا اما اذا كان الرد مبني على كلام آخر لم ينقله وجب
التسليم التسليم والاعتذار بعدم علمنا به « وما شهدنا الا بما علمنا
وما كنا للغيب حافظين » وبعد فقد وجب ختم مؤانستنا باستماع كلام
ابي اسحاق واستمناعنا بلاليه الزهرية والاشراقها وتارجها المظلمة انكاره
عنه فلهذا ما لا استفاد منه لغته العلية وتناقه معانيه مفرداتها

وتراكيبها ويرفضه الحزم بكونه قرأنا بلسان عربي مبين فنقول يا صاحب الكتاين
المنورين للفكرين الجديد والقديم قد امسى لسان حالك حولنا يقول

وان سيلي واضح لمن اهتدي ولكنها الاهواء عمت فاعمتي

فوادعا وداعا وشكرا وشكرا وحنينا حنينا فقد ابتليت في عصركم فتن كتم
صوامم في اعناقها وابتلى عصرنا باشد منها فلم نتحرك ولم نخرج لها لسانا او
نروع منها جنانا ومن اهونها تطويل الخطب الجمعية القائمة خطبتها مقام ركعتين
فقد ادت مخالفة السنة فيها الى تاذي المصلين واخذتهم بالتبرم والسآمة اذ فيهم
المبتلون بهرم او عجز عن الامساك او مرض او ضعف او حقن او حقب او
جوع او خوف حرمان من شغل لا يسمح اصحابه باي تاخير عن الوقت المسموح
فيه بالتخلف وقد ادى هذا التطويل الى ترك الجمعة من كثير فيالها من مصيبة
سببها الحرص على الهداية من البعض والتمتع بالاعتلاء الطويل من الآخر والرغبة
في الشهرة بين العوام من غيره ونشا عما ذكر صار الجامع المركوب متبره لخطيب من
هذا النوع يقصده كثير ممن لا يصلون حبا في استماع النواذر والتحدث بها وقد
ذهب التيار بهؤلاء الى ان هموا بمنم خطيب حرصا على استدامة نائبه لانه لا يتقيد
بسنة التقصير وتحدث بذلك المقاهي وبعضهم يجعله حرصه على الاهتداء ان
يصف المكروه بالحرمه والحرام بالكفر ولكن هذا الحرص لم يزد الناس الا اقبالا
على ما هم فيه وليس لهم من الخطابة الا المتعة باستماع ما يحلو لهم منها اذ لا يدخل
القلب كل ما يقرع الآذان ويقدر اقتراب التعب من قيود الشرع يتفجع به الانسان
ولذا حكى عن العلامة الصالح الزاهد الخطيب بجامع سبحان « الله » الشيخ عبد الله
الدراجي رحمه الله انه كان اقصرهم خطبة واشدهم تأثيرا وتنويرا ولله في خلقه اسرار
ونقلوا ان امير عصره تبرع عليه بذهب كثير بعد انتهاء درس الحتم في اواخر
رمضان ففرق جميعه قبل مغرب ذلك اليوم ثم صلى ودخل بيته فطالبتة العيال
برغيف فقال ما ظنت افتقارنا وخرج فاعترضه به احد المصلين فرجع به اليهم
فرحا وشاركهم فيه ولتختم هذا بما لعله يكون عظة لمن شذ من خطبائنا واختار
البدعة على السنة واذا انكر عليه اخذته العزة باللائم وقال ذاك زمان
وهذا زمان ومن لم يعجبه فعلنا فلا يعمل معنا وهي ان اعجميا حاجا وقف بمنى لرمي الجمار
فسأل عن فائدته فقيل ايلام الشيطان واهاتيه لانه تأتي به الملائكة وتوقفه في
الرمي فقال سارميه بصخر يعزق اوصاله ويدق قذاله لا بمثل ما ترمونه به فقال

له اجد الحبيب الذي لم يرزق ذوق بعض خطبائنا ارم بمثل هذا حجما لانه
الوارد اما اذا رميته بمثل قطع الجبال زدته كلبا وبعثت فيه لذة وطربا وهناك ايضا
ملك كثر السرقا في مدته فعاقب عليها بالقتل فازدادت كمية وكيفية فتعجب
وسأل عن السر فقال له وزيره الموفق ان سبب الكثرة الخروج عن القطع الذي
امر به خالق التوفيق والعصيان والمنح والحرمان فضى الله على من قال « من امر
الناس فليخفف فان فيهم الضعيف والسقيم وذا الحاجة وفي هذا الحديث روايات
كلها تفيد طلب التخفيف وتبين علمته فرحم الله الشاعر الفقيه المضمن للحديث
السلف في قوله

رب ايام عديم ذوق يؤم للناس ثم يخفف
خالف في ذاك قول طم من امر الناس فليخفف

هذا واذا كانت المقاصد التطويلية صالحة او غير صالحة فلا مانع من
تحصيلها في التبرع بالقاء الدروس ولو فوق المناظر وراحة المصلين فانها تتراد وتسمع
لغير ما تراد منه الخطبة وتضيق عنه قبل من سوط بل صوت يرفعه علامة القطر
وفخره ذو العقل الراجح والفضل الواضح يكبح الجماع ويقود الفلاح فانه عمدة
الفتوى وموطن المعزة والتقوى

لسنا نسليك اجلالا وتكرمة فقدرك المعتبر عن ذاك يغفينا
اذ انقردت وما شورك في صفة فحسبنا الوصف ايضا حاتيسنا

هذا وانه لا ينبغي ان تترك ما جرت اليه المناسبة من اشارة الى اسرار كلام
الله التي لا يعقلها الا العالمون الذين ابو اسحاق من اعيانهم وهي انه شفاء ورجمة
بوصف منزله ولا تنقضي عجائبه كما نقل الاستاذ عن السلف فاذا وجدنا مثلا بعض
آيات فيها شفاء لادواء جسمية وبعضا لنيل رغائب دنيوية بغير الاسباب المعتادة او
معها وبعضا آخر يجمع كيد الشيطان ويتحصن به من الانس والجنان وبعضا آخر
من الاسقام القلبية وهي ما عبر عنها حجة الاسلام الغزالي بالمرديات وقد حققت
التجربة كثيرا من ذلك فاذا انتفعنا بشي من هذا قلنا انه من عجائب الذكر
الحكيم وبركاته الا انه لم ينزل لاجلها اصالة وانما نزل - للاصلاح البشري من
من حيث العقائد والخلق والعمالات والعبادات وكذا اذا وجدنا كشف بعض
الدقائق العلمية قلنا هذا من فضل ربي وعجائب كلامه والشاطبي لا يمنع مثل هذا

وانما ينكر التوسع والاستغراق فيه والاقطاع اليه والانصراف عما نزل لهما
 التلي كثير حتى من العلماء الى ان اوهمت حالتهم من لم يدرك انه ما نزل الا للناقم
 ابتي يبحثون عنها ولا يهتمهم شيء مما عداها من منافع الاخرة فهم مثل من اضاع
 العمل لاجل الشمع واللباب للقشر والنوى فاضاعوا منه منافع الدارين وهي البحث
 عما نزل لاجله ابتداء ثم العمل به واقبلوا على ما يفيدهم في دنياهم فقط وهؤلاء
 هم مراد الشاطبي كما لا يخفى على اللبيب حيث رأى منهم الانصراف التام الى ما
 تستخرج به الكنوز ويدفع النجس ويدرك الرزق ويسوق المحبة للمبغض ويستميل
 القلوب وتقضي به حوائج المقبلين على الدنيا اقبال الخنازير الجيهام على لذيذ
 الطعام - « ومن يبيع عاجلا منه بأجله » بين له الغبن في بيع وفي سام « وحاشا الشاطبي
 ان ينفي عن القرآن دسومته وظني ان الذي حمل الاستاذ علي جعل عدم انتهاء
 عجائب القرآن وفرة المعاني لالحواص التي منها ما ذكرنا هو احترام الرأي الجديد
 والحرص على راحته وخشية اغضابه فحصر عدم انتهاء عجائبه في وفرة المعاني مع
 ان الحواص الف فيها العلماء والفوها وتلقوا بعضها عن اعيان الصحابة كابن مسعود
 حين قيل له عند الوفاة ما تركت لبناتك فقال سورة الواقعة نجانا الله بمركتهم
 والعمل به من احوال القارع

الصفحة التاسعة والثلاثون

« وذهب ابن العربي في العواصم الى انكار التوفيق بين العلوم الفلسفية
 والمعاني القرآنية ولم يتكلم على غير هاته العلوم وذلك على عادته في تحقير الفلسفة
 لاجل ما خولطت به من الضلالات الدينية وهو مفرط في ذلك مستخف بالحكماء »
 لعل ابن العربي يريد ان يصرف المتتبعين للقرآن عن اجتهاد الفكر في الفلسفة العميقة
 العقيمة الى العمل بها فانما يوجد في كل عصر فريق من المتتبعين اليه كثرتهم تنمو
 كلما اقتضى عصر دأبهم البحث عما يعظمه عند المكذبين به المتعنتين حتى سمعت
 في عصرنا بعض المدعين المائعين يقول امام رجل من فضلاء المستعربين ان القرآن
 اشد الكتب السماوية تحريضا على الجمع والمنع والاستغراق في طلب المال والجاه
 والاعراض عن ذكر الموت وقد شعر المستعرب الذكي بمراة فقال له ان صدقت
 في هذا ولا اخالك فقد نقرت اهل الكتاب منه لان الكتب السماوية تامر بالخير

وما ذكرتم عن القرآن شر مكشوف . وخلق غير مالوف . فقال بعض الحاضرين
 ان صاحبك من اجهل الناس به وتعاليمه وانما هو من حفاظ كتابه من هنا نبدا
 الذي جمع صاحبه فيه بين البعر والدر فذهبت مساويه بما حسنه ثم انطوى المجلس
 عن ضحك وانشراح من البعض وعبوس وانقباض من آخر ومنهم من ينسب المفسر
 الذي لم يصرف الهمه الى الكدح في استخراج النكت البلاغية الى سقوط الهمه
 والقناعه بالدون ولو اتى ذلك المفسر بمثل فلق الصبح من فيوض القرآن والادله
 على اعجازه من غير الناحية المنظور فيها الى علم البلاغه وتسامى على ان حجية
 القرآن البلاغية ذهبت من عصور انقراض المطبوعين عليها وان كانت مسلمة عند
 غيرهم للقطع بالعجز عن معارضة القرآن من ناحيتها وغير ناحيتها فرأى اهل
 البهية العليا من المفسرين التوجه الى الحجة الناهضة في كل عصر وبين كل امة
 وفي كل جيل اهتدى الى الدين كثير من العجم متخذين لغتهم الاعجمية وسيلة
 اليه وفي الترجمة عند الموفقين شبه ورى وفيهم من سلك في اسلامه منحى صوفيا
 كالشيخ عبد الله الفرنسي الذي ليس له من لغة القرار كثير ولا قليل وهو الآن
 متجسك بجبله المتين صابر على البؤس والحفاء والطعن من سفهاثنا استعبادا لاهتدائه وهو
 الاعجمي عندما كادوا ان يخرجوا منه افواجا والله متولى السرائر وقصده هؤلاء البلاغيين
 بتحقيق من لم يسلك سبيلهم من موقفي المفسرين اعداد الناس لقبول متحلاتهم
 المنشوش عنها في الكتب المدفونة عندهم متى ظهرت او السخافات التي اعتمدوا فيها
 انفسهم وكلامنا هذا لا ينبغي ان يعد طمنا في استعظام بلاغة القرآن فانها لا تنهيهما
 العصور ولا تبدلها الدهور وانما هو انكار على التعاضم والتحقيق الناشئين عن الاعجاب
 والغفلة عن العيون التي يستحيل ان يسترها التعاضم والشموخ ما دام عارفوها بقيد
 الحجة ثم ان ابن العربي لا نشك في ان الحامل له على استهجان الخوض في الفلسفة
 والافراط فيه ما تطاير من شررها على المعتقدات الاسلامية حتى بلغ الامر بضعاف
 الاعتقاد ان جعلوها حكما مطاعا ومسبارا عادلا يقبلون به ما وافقها ويتركون ما
 خالفها فكان مسلكه بمنزلة قوله للفلاسفة والمتفلسفين دعونا نستشق غير القرآن
 خالبا من الابخرة الكريمة فهو حجة لكم ان وافقتموه وحجة عليكم ان خالفتموه فلنا
 الغم في الحالتين وعليكم الغرم في احدهما فافراطه حيثد محمود لا يخلو من الحكمة
 كما ان مخالفيه الخائضين فيما ابي الخوض فيه من علماء المسلمين لم يحملهم على
 سلوكهم الا قصد التأييد . واشهار التمجيد . والاعمال بالنيات ثم انا معشر الحلف
 اذا نظرنا الى ما نحن عليه امام القرآن وجدنا انفسنا اقوم اخذ العطش بحلاقيهم
 حتى بلغت ارواحهم فتدفق عليهم السليل من ارض وهبها لهم من اراد حياتهم

فاخبرهم عابر سبيل بان ارضهم بها معادن ثمينة فشغلوا بالبحث عنها وعموا عن مائها
وحرثها وغدوا معرضين عما فيه صلاح ابدانهم وبقاء حياتهم حتى افقوا بهم الاقبال
والاعتراض الى ان كانوا من الخاسرين وهذا هو الذي اخاف ابا اسحاق الشاشبي
رحمى الله عنه فهو لم يقل الا حقا يحبه الله ويرضاه ولا يقر تحمیل القرآن من
المعاني ما تأباه لغته العربية ولا تتحملة افهام اهلها

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
فاستغلنا الآن باخراج النكت البلاغية والمطابقات الفلسفية مع الاعتراض عن العمل
صيرنا مثل هؤلاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومما يملأ النفوس اسى
ايضا التعاقب على اقامة الاعتراضات على عظماء العلماء الذي جلدوا عصورهم
بالتأليف المفيدة والاعمال العالمة والتخطئة لهم والقدح فيهم المقصود بهما التعاضد
اذ لا يجب يخشى ولا نصير الا الله فلا مانع حينئذ من التناول نزولا على العمل
بالمثل .

خلالك الجو فيضى واصفرى وتقري ما شئت ان تقري
ومن ملائمت الموضوع ما حكى عن ابن مالك صاحب الالفية النحوية الشهيرة فقد
اراد ان يتغالى في تفضيل الفية على الفية ابن معط زميله في اللم والتأليف ويقدر
التفوق المجمل بعد قوله :

وتقتضي رضا بغير سخط فائقة الفية ابن معطى
فقال : فائقة عنها بالف بيت . فججز عن ضم العجز للصدر ووقف كمن لم يكن
اه عهد بالنظام قرأى ابن معط مناما قائلا له هاك عجزا ضمه الى الصدر فقل :
والحي قد يغلب الف ميت - فحذف ابن مالك الشطر الذي نظمته والغنى ما املى
عليه وعوضهما بالدعاء لنفسه ولزميله فقال :

والله يقضي بهيات واقره لي وله في درجات الآخرة
والمدار على حسن النية وسلامة الطوية فرحمهما الله واسكنهما مساكن الابرار
هذا ومما يجري الدموع وبقد الضلوع امتلاء عصرنا بمن يزعمون انهم نقاد بزوا
المتقدمين وظفروا بأخطائهم واقهرهم على هذا الهوس المبني على الغرور والاعجاب
افراد عمى البصائر منهم رجل كهل يدعى الادب لفق قولاً سماه شعرا مختل
الوزن معتل المعنى احسن ما فيه مسروق فقال لا بورك في كلامه مقررًا ومادحا

غدوت خضم العصر بسطو حسامه بمن قد مضوا من جامدين على العرا
وكانوا كفار وسوسوا خلف حائط وكنت كسنور عليهم تسورا

وهذا بعضه اما البقية فهي اشنع وابشع وقد حضرة بعض من اطعمهم عليه
بأنه ربما ناله لاجله من الممدوح طردوا هاته لاقبول وغرامه ولا يدري هل
اجتمه او اقدم

اولم كثير من المفسرين يتطلب اسباب نزول القرآن وهي حوادث يروي
ان آيات من القرآن نزلت لاجلها لبيان حكمها او لحكايتها وانكارها ونحو ذلك
واغربوا في ذلك واكثروا حتى رفعوا الثقة بما ذكروا . بيد اننا نجد في بعض آي
القرآن اشارة الى الاسباب التي دعت الى نزولها فكان امر اسباب نزول القرآن
دائرا بين القصد والاسراف وكان في غض النظر عنه وارسال حبله على غاربه خطر
عظيم في فهم القرآن

وضع اكابر العلماء معرفة اسباب النزول في مكانة تناطح السحاب . وتعقل
انظار الطلاب . لانها مفيدة في نفسها اولا وسلم الى الكشف عن مراد الله ثانيا فلا
غربة عندئذ ان تتوجه اليها العناية . وتتزاحم عليها المباحثات . فهي جديرة ان
يهتم بها من اهلهم الله لدخول المبدان . ومباراة الفرسان . وعليه فعذر الاستاذ في
ان يجعل بصرة حديدا ويأخذ الحبل بكلتا يديه ولا يتركه على الغارب للوم عليه
فيه فان التأليف الخالية من بذل الجهد في الاحسان والاصابة معتبرة عبثا تقيلا
وطعاما وبيلالكن العبارات المشعرة باحتقار اصحاب تلك العناية والحكم عليها بالحلو من
الفائدة والايقاع في الارتباك غير محمود فيا حبذا الرفق لو منحه الاستاذ لمن كدحوا
في سبيل خدمة الدين وبذلوا من الجهد في بلوغ هدفهم ما لا يهون على غيرهم
بذله فهم الى الافادة طامحون . وعن الثثرة والجمعية جاحسون . والله يجازي
بالكثير عن القليل وحسن النيات يدفع الملمات

« وانا عاذر المتقدمين الذين الفوا في اسباب النزول فاستكثروا منها بان كل
من يتصدى لتأليف كتاب غير مشبع بتملكه محبة التوسع فيه فلا ينفك يستزيد
من ملتقطاته ليذكى قبه ويمد نفسه فيرضى بما يجد رضاه الصب بالوعد ويقول
ردني من حديثك يا سعد غير هباب لعاذل ولا منطلب معذرة عاذر وكذلك
شان الولم اذا امتلك القلب » .

لا ينبغي ولا يجوز لمن يؤلف في الاخبار طرح ما يجده مكتوبا او مسموعا
لان هذا خروج عن دائرته وخيانة في تاديبه ثم اذا ظهر له بحث فيما نقله يؤدي
الى الحكم بصحتها او مرضها ذكره محكما الانصاف معرضا عن الاعتساف اما
الاعراض عن ذكر ما ظهر له بطلانها فهو حماقة بارزة اذ قد يصح عند غيره ما

رأى باطلاً ويطلبه عنده ما رآه غيره صحيحاً لكن كثيراً يخالفون القاعدة فيقعون من شاعق إلى هوة والاستاذ اعز الله قد اعتذر عن المؤدين واجبههم التأليفى بعذر املأه عليه حب السجع فذكرنا بقاضى « قسمه » والا فالمتقدمون من المؤلفين لا يبلغ بهم السخف ورقم الدين واستيلاء الشهوة الى الرتبة المذكور بعضها سجعاً والحائث من عثرات القلم واللسان لا يجبرا على نسبة المؤلفين من القدماء رضى الله عنهم الى الفضول والهذر والثرثرة وفساد النية فهل من تنوير الفكر الجديد ان نعتقد فيمن لا يرضون بغير الوصال انهم راضون بالوعد كلا .

« ولكنني لا اعذر اساطين المفسرين الذين تلففوا الروايات الضعيفة فاثبتوها في كتبهم ولم ينهوا على مراتبها قوة وضعفا حتى اوهموا كثيراً من الناس ان القرآن لا تنزل آياته الا لاجل حوادث تدعو اليها ويش هذا الوهم فان القرآن جاء هادياً الى ما به صلاح الامة في اصناف الصلاح فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية الى تشريع الاحكام نعم ان العلماء توجسوا منها فقالوا ان سبب النزول لا يخص الا طائفة شاذة ادعت التخصيص ولو ان اسباب النزول كانت كلها متعلقة بآيات عامة لما دخل من ذلك ضرر على عمومها اذ قد اراحنا علماء الاصول حين قالوا « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » .

اساطين المفسرين كثيرون وهم امثال ابن عباس وابن جرير والزحشرى والبيضاوي والالوسي والطبري والقرطبي والرازي والجهص وابن العربي وغيرهم كثيرون وقد اقتصرنا على تسميته هؤلاء لان لهم تفاسير يتناولها الناس ويطالعونها ولولا ذلك لجعلنا ابن مسعود وعثمان بن عفان ثالث الخلفاء وصاحبه قبله وابن ابي طالب وابي ابن كعب وابن ثابت وابا هريرة في المقدمة وهؤلاء الصحابة غير مرادين من عبارة الاستاذ وان كانت تشملهم الا ابن عباس فقد يكون مراداً لان لم تفسرنا مدونا ينسب اليه فالمنع اذا اندماج تفاسيرهم في كتب التفاسير المدونة وعليه فلا مناص من معاتبه الاستاذ علي شينين احدهما تعميم رفع العذر عن اساطين المفسرين وفيهم الصحابة وفيهم من لم يذكر سبباً للنزول وكان عليه ان يخص حتى لا ينال اللوم العنيف الا من دونوا وذكروا بدون تمييز اما من لم يدونوا او دونوا ولم يذكرنا الاسباب او ذكرنا ومحصوا فهم بريئون من هاتم المؤاخذه القاسية ثانيهما ترك الاعتذار عن المؤاخذين من اساطين المفسرين بما ذكر عن الوصوليين المفضى لتخفيف الذنب عنهم فما وجه الاعتذار عن قدماء المؤلفين في اسباب النزول وتركه في جانب المؤاخذين من اساطين المفسرين وكلامنا في اصل الاعتذار لا في عينه لانه

أقبح من الذنب ولا يرضى به قطعاً كما أسلفنا بقي ان نقول ان صنيعهم في ذكر اسباب النزول بدن تمحيص لم توهم منه احد يتسبب للعلم ان القرآن لا ينزل الا لاسباب ومن توهم ذلك رفعنا وهمه بمثل تعليل الاستاذ واذا اصر فلا خير عليه ما دام يعتقد ان خالق سبب النزول هو المنزل وهو سبحانه ادري بما يصلح العباد وينفي الفساد فلو اراد ان يقرن نزول كل آية او حاشا بسبب خلقه لما استحال فافاق الاستاذ من توهم اعتقاد ان القرآن لا ينزل الا لاسباب في غير محله فاعتقاد ما ذكر لا يضر ولا ينفي عن القرآن الهداية والاصلاح فليسكن فؤاده ولينعم بالافعا في الامر خطر على الدين . ولا صولة على اليقين وقانا الله واياه من حب توهين حسن الاعتقاد في سلفنا الصالح وشغلنا بتطهير انفسنا مما خلوا منه والتحلى بما اكتسبوا به واكتسبوه

الصفحة الواحدة والاربعون

« وقد قال الواحدى في اول كتابه في اسباب النزول » اما اليوم فكل يخترع للآية سبباً ويخلق افكاراً او كذباً مقبلاً زمامه الى الجبالة غير مفكر في الدوعيد - وقال لا يحل القول في اسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسامع ممن شاهدوا التنزيل « اه »

رحم الله الواحدى فقد افادنا ان زمنه كان مفعماً بما افعم به وقتنا من دجالين باسم الدين يدعون الفيرة عليه وارادة صونه وهم اضرب عليه من اعدائه الكاشحين غير ان اولئك دون هؤلاء خبثاً لان غايتهم نيل العدم من انصاره . والمرابطين على حفظ آثاره . اما هؤلاء فغايتهم ان يكونوا زعماء يأكلون الدنيا بالدين اكلاً لما ثم يتولون الوزارات ويحكمون شهواتهم .

و نحن نحمد الله على قلة عددهم في هذا البلد وانكشافهم لعلمائه الموقنين فاصح بهم آمناً لا يخشى بخساً ولا رهقاً ثم نرجع الى ما نقله الاستاذ عن الواحدى فنقصه بجهلاء علم الحديث وقدماء . واعداء الدين المخفين برداء شفاف او كثيف . اما اساطين المفسرين وقد ما المؤلفين في اسباب النزول فلا يحمل عليهم ولا يقصدون بكلامه وهو لا يعلم انه سيأتي يوم يزج بهم فيه ولو علم ان كلامه سيجعل عليهم وقرة تصريحا او ايهاً لا زاله قبل ان يلاقى ربه

الصفحة الثانية والاربعون

« ففي كتاب الايمان من صحيح البخاري في باب قول الله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) ان عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) الآية فدخل الاشعث بن قيس فقال ما حدثكم ابو عبد الرحمن قالوا كذا وكذا قال في انزلت كانت لي بشر في ارض ابن عم لي الخ فابن مسعود جعل الآية عامة لانه جعلها تصديقا لحديث عام والاشعث بن قيس جعلها خاصة به اذ قال في انزلت بصيغة الحصر »

كلام الاستاذ صريح في ان الصحابين مختلفان فكلام الاشعث رد لقول ابن مسعود وقول ابن مسعود مناف لكلام الاشعث وان الاشعث يرى ان وعيد الآية لا يتناول غير ابن عمه الذي اقتطع حقه يمين فاجرة وعليه فوعيد ذلك الغير اذا اقتطع حقا لغير الاشعث يمين فاجرة كما اقتطعه ابن عم الاشعث له غير موجود في الآية ولو بطريق الإشارة ولولا الحديث المفيد المؤاخذة لما كان حرج على غير ابن عم الاشعث في اقتطاع الحقوق بالايمان الفاجرة هذا كله استفادة الاستاذ من تقديم المعبول وقد خطر بباله ان الحصر اضافي مقصود به الرد على من قال او سيقول ان الآية نزلت في شأنه فقط لا في شأن الاشعث وابن عمه وانه لا منافاة بين قولي الصحابين اذ الاشعث بين ما اجمله ابن مسعود ولم يطله فكانه قال في نزلت اثر الحديث الوارد عند خصوص متى مع ابن عمي هذا اذ اعتمدنا نقل الامام البخاري رضى الله عنه المبين فيه سبب نزول الآية واما اذا اعتمدنا قول بعض المفسرين ومنهم صاحب الكشاف من ان الآية في شأن اهل الكتاب الذين كتفوا ما فيه من وصف النبي الامي عن امهم فقد اشتغينا عن بذل المجهود في التوفيق بين الاشعث وابن مسعود .

الصفحة الثالثة والاربعون

« وهذا القسم قد اكثر من ذكره اهل القصص وبعض المفسرين ولا فائدة في ذكره على ان ذكره قد يوهم القاصرين قصر الآية على تلك الحادثة لعدم ظهور العموم من الفاظ تلك الايات »

من حقوق الاستاذ سامحه الله ان يضع في تفسيره من اسباب النزول ما نشرح

لم صدره ولم ان يترك ما شاء ولا حق لاحد في محاسبته اذ لم يخرج في هذا الصنع
عن سنة المؤلفين مفسرين وغيرهم بيد ان الطعن فيمن ذكروا ما لم يذكره بانهم
ثرثروا واساءوا حيث اوهموا القاصرين الخصوص عند ارادة العموم لا وجه له
ولو اطعنا نفوسنا لما اطعنا اليه نفسه من الانكار عليهم لحجرتنا واسعا وضيقنا
فسيحا وحقرتنا عملا جليلا قاموا به واستحقوا عليه الشكر لحرصهم على حفظ
اثار السلف ، وادراكهم ما في ذلك من زاد للاخرة وشرف ، وانشاد حالهم عند
المرور عليها ، والاتصال باخبارها ومغانيها .

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شفى قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وهم لا يرون في صنعهم تضليلا ولا ينسبون للغباوة من تاهلوا الى مطالعة
اسفار التفسير فيخافوا عليهم ما خافه الاستاذ فحسبه حرية الترك ، وليس عليه
عبء اذا كرين لهما من الفرس والعرب والترك ، وحيث ان الثروة قد تشفى ما
في الصدر احيانا فاني اذكر لكم ما ضيق به صدري شيخ متوظف في الدرجة العليا
فانه رد كلامي السالف بان اعتراض الاستاذ خاص بالمفسرين اما نقلة الاخبار
فانهم خارجون باعتذاره المتقدم قريبا المتتالي في ضمنه معنى قول الشاعر المشكور
وحديثي يأسد عنهم فردتي حنينا فزدني من حديثك يا سعد

وبانه لم يقصد تشنيعا على المفسرين فان عملهم حم ومضى على ما فيه من خير
وضير وانما قصد سن سبل قويم ذي اعلام واضحة ونور كشاف يسلكه الاتون
فلا يقعون فيما وقع فيه السالفون من ذبذبة عند ارادة التاليف في التفسير فعلى
دمي البارد بحكم السن فهونت على نفسي بقول نعم هذا صحيح كصحة قول ابي
الطيب في كافور مادحا او هاجيا

ولله سر في علاك وانما كلام الوري ضرب من الهذيان

« وقسم بين مجملات ويدفع متشابهات مثل قوله تعالى « ومن لم يحكم بما
انزل الله فاؤلئك هم الكافرون » فاذا ظن احد ان من هنا شرطية اشكل عليه
كيف يكون الجور في الحكم كفرا ثم ان علم ان سبب النزول هم النصاري علم ان
من موصولة وعلم ان الذين تركوا الحكم بالانجيل لا يتعجب منهم ان يكفروا
بمحمد »

لم نطلع على ان احدا ذكر لهذه الآية سبب نزول ولا انها خاصة بالنصاري
ولعل هذا القول من جملة المفتوح به وذلك بعيد لانا تعودنا التنبيه من المؤلف عليه

فلم يبق الا النقل وهو مفقود هنا ونقل صاحب الكشف عن ابن عباس تخصيصها
 باهل الكتاب مطلقا سواء اليهود والنصارى ولم يعف المسلمين من وعيدها حيث
 قال من جحد حكم الله كفروا من عمل بغيره معتقفا به فسق وظلم هذا وان الآية
 ذكرت بعد التنويه بشأن التوراة كما يفيد قول الله تعالى « انا انزلنا التوراة فيها هدى
 ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا الذين هادوا - والربانيون والاحبار بما
 استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا
 بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكفرون وكتبنا عليهم فيها
 ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالاذن والاذن باللسن واللسن بالجروج
 وقاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون
 وقفينا على اثارهم يعيسى ابن مريم مصدقا بما في يديه من يديه من التوراة وآتيناه
 الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين
 وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم
 الفاسقون » فانت ترى انها متوجهة الى اليهود اولا ومباشرة فما وجه اعفائهم من
 وعيدها وتسليطه على النصارى مع قربهم منها واشارتها الى تعطيلهم حكم التوراة على
 زائين محضين منهم بالرجوع ومحاولتهم كتم هذا الحكم وكشف ابن صوريا العالم
 اليهودي عدوانهم عليها عند تحكيمهم الرسول فيهما بمقتضى ما في التوراة وقد
 ادت امانته وعلمه وصدقته الى رجوعهما واسلامه فيحق حينئذ للنصارى ان ينشدوا
 قول المتفجهم المتوجع

غيري جنبى وانا المصذب فيكم فكانتني سبابة المتندر

هذا ولو لا حسن الظن بالاستاذ لحدثتني النفس الامارة بان للسياسة اعدو
 بالله من شرها سببية في الحمل المتعسف ولا يمكن ان يريد الاستاذ بسلوك هذا
 المنهج المشتبه الاعلام في تفسير كلام « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »
 تنزيل من حكم حميد « تهوين الظلم على حكام المؤمنين وادخال السرور على
 الجائرين منهم مع علمه بان الصحابي الجليل ابن مسعود جعلها عامة في عبارة اوضح
 واصرح من عبارة ابن عباس رضى الله عنهما وعلى فرض
 تلك الارادة وقد يفرض المستحيل فما المانع من جعل من شرطية مع ظهوره
 لاقتراثها بالفاء واذا اراد بهذا اخراجهم من الوعيد فهو غير سديد لانها للعموم
 على كل حال كما فهم ذلك ابن عباس وابن مسعود وبقية المفسرين غير الاستاذ ولان
 سبب النزول لا يخص كما ذكره الاصوليون واقرهم عليه ونقله عنهم فلو حمل
 انكفر بالنسبة للمؤمنين على ما اذا انضم الى الحكم بغيره الجحد له والتكذيب به او

الكفر بالنعمة لاحتمل قبوله مرجوحا ، وامسى قلب الحاكم بغيره مجروحا ، فلا يجمع بين جرائم وتعاطف عنده خشية العدوان . وفي دائرتها صلاح للقلب والعمل واللسان .

لكن من رام تفاهق الذي يقولم ينضم خرج الزمان
لكن حالت بالاستاذ عن هذا رغبته في ارضاء الفكر الجديد والله اعلم .

الصفحة الرابعة والاربعون

« وكذلك حديث عبدالله ابن مسعود قال لما نزل قوله تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينالم يلبس ايمانه بظلم ظنوا ان الظلم هو المعصية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس بذلك الا تسمع لقول لقمان لابنه « ان الشرك لظلم عظيم » اشتبه على الاستاذ ما يفسره الحديث الشريف الممثل فيه لقوله تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون » بما يفسره سبب النزول الذي لا يرشد اليه الا الصحابة ومن نقلوا عنهم فشب ذلك بدا وجوابنا عنه ان التشبيه في مجرد الكشف عن غموض والبيان لمراد بتبادر الى الذهن غيره اذ فهم من الظلم في الآية المعصية والمراد به الشرك وهو اخض منها لانها تشمله وغيره او انه اتى بهذا مجردا عن اعتبار ما ذكره وتقليد للسيوطي في وضعه في الاتقان عقب القرآن المفسر بسبب النزول من غير تمحيص واذا اصنأ فيما راينا عددنا هذا التقليد من نوادر الاستاذ لان عاداته اجله الله محاسبة المؤلفين حسابا عسيرا لافرق فيه ولا هوادة ولو كانوا من اساطين المفسرين الا ترى انه اغلظ عليهم في قبول كل ما يذكر من اسباب النزول خاليا من التمحيص والبحث واذا صح هذا الاحتمال فهو خروج عن المألوف ، معدود عندئذ من المعروف ، فلا غرابة فيه اذ قلب الاسان في تصرف الرحمان

ولكن القلوب لها انقلاب وحالات ابن اادم تستحيل

الصفحة الخامسة والاربعون

« لولا عناية كثير من المفسرين بذكر اختلاف القراءات في الفاظ القرآن حتى في كفيات الاداء لكنت بمعزل عن التكلم في ذلك لان علم القراءات علم جليل مستقبل قد خص بالتدوين والتأليف وقد اشبع فيه اصحابه واسهبوا بما ليس

عليه مزيد ولكنني رايتني بمحل الاضطراب الى ان القى عليكم جملا في هذا الغرض
بهم فون بها مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير . ومراتب القراءات قوة
وضعا كني لا تعجبوا من اعراضى عن ذكر كثير من ذلك وكثير من القراءات في
اثناء التفسير

كلام الاستاذ صريح في ان الحامل له على الخوض في القراءات تقليد
المفسرين ولولا لما خاض فيه لاستقلاله بنفسه واحتصاص علماء بارعين فيه بتدوينه
واخراجه للناس مصفى لكن تارك العادة يعادى كما يقال فجاراهم يومئذ في ذكره هذا
ما يدل عليه ظاهر كلامه وباطنه غير ان استدراكه ناقض اول كلامه لانه جعله
محتاجا اليه وواجبا ذكره عليه ولو لم يتعرض له المفسرون لما ذكر من التعليل
وهو الصواب لان القراء تعلق مباحثهم في القرآن من حيث الفاظه والمفسرين من
حيث معانيه فان المعاني قد تختلف باختلاف الالفاظ كقولهم تعالى « ان المصدقين
والصدقات » الآية فان القراءتين فيها اي بتشديد الصاد وتخفيفها يترتب عليهما
اختلاف المعنى فياينهما على المفسر اكيد والاهمال قصور او تقصير بخلاف البيان في
قوله تعالى « ام تسالم خراجا فخر اج ربك خير » فان اختلاف القراءتين فيه
باسقاط الالف وثبوتها لا يؤدى الى اختلاف المعنى فهو واجب على القارىء ومستحب
من المفسر والفرق مثل الصبح ظاهر وعليه فارادة الاستاذ منا ان لا نعجب من
اعراضه عن ذلك الذكر محلة عجب ومحلبة وصب لان ذكرها له اتصال بالتفسير
كاتصال الروح بالجسد زيادة على انه مهم في ذاته اذ لا يكاد فن القراءات يحلو
للمطالع الا مصحوبا بالتفسير فذكر المفسرين لها اثناء اعتناء بالمهم او الواجب
وزيادة في النور وشرح للصدور - قالوا المكرر فيه * قلت المكرر احلى - فجازاهم
الله خيرا ولا اخال الاستاذ الا موافقا لكنه اراد الايجاز فيه ليتفرغ للاطناب فيما
يريد الفكر الجديد ويتنور به وهو محال متسع وانا نضرع الى الله ان لا يكون
مثل ما ذكره في قوله تعالى « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون »
ولعل دعاءنا يستجاب

« ارى ان للقراءات حالتين احدهما لا تعلق لها بالتفسير بخال والثانية لها
تعلق به من جهات متفاوتة اما الحالة الاولى فهي اختلاف القراء في وجوه النطق
بالحروف والحركات كحكاير المد والامالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق
والجهر والهمس والفتنة ومزينة القراءات من هذه الجهة جائدة الى انها حفظت على
ابناء اللغة العربية ما لم يحفظه غيرها وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف

في خارجها وصفاتها وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق وهذا غرض مهم جدا
لكنه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي ولم ار من عرف لفن
القراءات حقه من هذه الجهة »

وجب ان يقال هنا ان علماء المسلمين في جميع اقطارهم قد عرفوا حقه
بالتأليف فيه وتدرسه نظريا وعمليا فمن المعاهد التي شرفها تدرسه وتوجيهها
العبانية به الكلية الزيتونية عمرها الله بطاعته وجعلت له فيها شهادات بعنوانه عالمية
وتحصيلية فهل يريد الاستاذ بعرفان حقه غير ما ذكر من التأليف والتدريس والعمل
واعلمه عبر بهذا لزيادة توحيه النفوس اليه ايقاظا لهمم الخادمة والطابع الجامدة
او ان الاشارة راجعة لشيء توهم ذكره ولم يذكره واما زعم اهل ظن السوء
انه اراد به الاشهار بالغلو في المحافظة على القديم استمالة للقلوب وجلبا للنداء
ولو كان الامر حقيقيا لا عتني به اعتناء يرضيه عندما سنحت له الفرصة فجوابنا عنه
انه مجرد اوهام واضغات احلام يصدق على صاحبها قول ابي الطيب :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهم
يصدق ما يعتاده من توهم

« فائمة العربية لما قرأوا القرآن قرأوه بلهجات العرب الذين كانوا بين
ظهرا نهم في الامصار التي وزعت عليها المصاحف : المدينة ومكة والكوفة والبصرة
والشام قيل واليمن والبحرين فقرأ كل فريق بعربية قومه في وجوه الاداء لا في
زيادة الحروف ونقصها ولا في اختلاف الاعراب ويحتمل ان يكون القارئ الواحد
قد قرأ بوجهين ليرى صحتهما في العربية قصدا لحفظ اللغة مع حفظ القرآن الذي
انزل بها ولذلك نجزم بان كثيرا من القراءات في هذه الناحية كان اختيارا كما حزم
بذلك قبلنا ابن العربي والزخشري وغير واحد وقد كره مالك رحمه الله القراءة
بالامالة مع ثبوتها عن القراء فدللت كراهته على انه يرى ان القارئ بها ما قرأ الا
بمجرد الاختيار ولا ضرر في ذلك ما دامت كلمات القرآن وجملها محفوظة على
نحو ما كتب في المصحف الذي اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا من شذ منهم »

ما ذكره الاستاذ من قراءة الائمة بلهجات العرب الذين كانوا بين ظهرا نهم
لا اعتقد صحتها سواء اتفرد الاستاذ بذكره او شاركه غيره واقول عوض بعربية
قومه بعربية روايته عن شيخه اي الامام الذي اخذ عنه القراءة لانه يجب عليه
تقليد الا فلا معنى للرواية عنه اللهم الا اذا عجز عن ذلك التقليد فيقال له
حيث ان الله يسر لا عسر في خاصته نفسه فقط اما ان يروي عنه ما عجز عن

ادائه بلغة شيخه فلا يكون لان اهل ذلك العصر بلغ بهم التحري في شأنه الى ان اعتقدوا ان سعادتهم في الآخرة والدنيا لا تأتي الا ببذل الجهد في صيانتهم من انواع الخطا خفيا او جليا ثم يقال بعد اذا افتتح باب المخالفة للشيخ مراعاة للهجة قوم التلميذ قلماذا لم يعم الجواز المخالفة في الحروف والاعراب وتخاص بما عداهما فان قيل ان ذلك يؤدي الى مخالفة المصاحف العثمانية قلنا لا اثر فيها لتلك المخالفة لان الشكل حدث بعد امد طويل من تدوينها والله الموفق ثم ان الاحتمال الذي افضى بالزحخشري وابن العربي الى الجزم بما جزم به بساطل او مرجوح والمخالفون لهما وللأستاذ فيه كثيرون عددا وقيمة لانه ينافي قول الجمهور القراءة سنة متبعة وينافي عدالة القراء وامانتهم فان دأبهم تبليغ القراءة المروية لهم عن عدول مشائخهم لا بيان ما يسوغ في العربية وما يمتنع ونسبتنا لهم ذلك في مقام الرواية قدح شنيع مناف لحسن الظن فيهم وقيمن نسبة اليهم ولم ادر ما حمل الأستاذ على الشذوذ في نسبتهم للاستخفاف بما سمعوه والتلاعب به ليحافظوا على لغتهم الخاصة خوفا عليها من التلاشي في خضم لغة القرآن وانني اذكر ان مثل ما نسبة الأستاذ للائمة القراء او قريبا منه حمل العلامة الفحل في فهم عليا النوري الصفاقسي التونسي على هجو الزحخشري ساعهما الله ورحمهما واتاملن المتمسكين بقول الجمهور والمتسبين الى النور المتمسكين بقول الحماسي:

وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وانني لنا ان نعتقد ما اقرا الأستاذ بعد توزيع المصاحف على اقطارها واستقرار القراءة التي اتبنت عليها تلك المصاحف الاستقرار الحاسم للفوضى واعتبار اللهجات القومية والنزعات القبلية خوفا عليها من الاضمحلال ولدى التأمل من قول الأستاذ ان امام دار الهجرة كره القراءة بالامالة وان الكراهة سببها ان رأى ان القارئ بها ما قرأ الا بمجرد الاختيار تقع به الحيرة لمن ينزل الامور منازلها لان كراهة الامام للقراءة بالامالة مشكوك فيها واذا ثبتت وهنت علتها لانها ما ثورة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في «الاتقان» وقد ذكر انه قيل له اتقرا بغير لغة قومك يا رسول الله فقال انها لغة اخوالي بني سعد ومع هذا فان النطق بها لا ينافي خط المصحف وكل ما لا ينافي خط المصحف لا تمتنع القراءة به كما نقل الأستاذ اتفاق القراء والفقهاء عليه فكراهة مالك التي لم نرها لغير الأستاذ ان سلمنا انها لا نسلم عانتها التي تخيلها ونقول ما كانت الكراهة الا لندرتها وكونها غير لغة قريش اما التعليل باعتقاد ان القراءة بها مبنية على شهوة القاري ورغبته في دفع لغة قومه ان كانت

احمد ناصر الدين قاضي الاسكندرية المتوفى بعد الزمخشري بمائة وخمس وخمسين سنة في كتابه «الاتصاف» عند تفسير «الكشاف» لقوله تعالى «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم» مقنع ومقرع فليراجع رزقنا الله السلامة في الدين والعقل والبدن ما كبس علينا قيد الحياة

وأخر القول هنا ان بدور القراء العدول الذين هم ليسوا عن الحق بعدول متمسكون بقوله تعالى خطابا لرسوله عليه الصلاة والسلام «قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسه ان اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم»

الصفحة السابعة والاربعون

«وقد تسروى قراءات عن النبىء صلى الله عليه وسلم باسانيد صحيحة في كتب الصحيح مثل صحيح البخارى ومسلم واضرابها الا انها لا يجوز لغير من سمعها من النبىء صلى الله عليه وسلم القراءة بها لانها غير متواترة النقل فلا يترك المتواتر وقد اصطلح المفسرون على ان يطلقوا عليها قراءة النبىء صلى الله عليه وسلم لانها غير منتسبة الى احد من ائمة الرواية في القراءات ويكثر ذكر هذا النوع في تفسير محمد بن جرير الطبرى وفي الكشاف وفي المحرر الوجيز لابن عطية فلا تحسبوا انهم ارادوا بنسبتها الى النبىء صلى الله عليه وسلم انها وحدها الماثورة عنه»

قال بعض الناقدين هذا غير متوهم من المسلمين فاولى ان لا يكون محسوبا فالنهي عنه لغو وانا احيب بانه احتياط وتحر وخوف من الوقوع في محذور قد يدفع بصاحبه الى ان يوسم بالردة والعياذ بالله على القول بان لازم القول يعد قبولاً وان كان هذا المذهب غير مشهور كما قرر في فن العقائد اذ مما يقدح في صحة العقيدة ان ما نحن عليه الآن في قراءتنا المشهورة لا صلة له بالنبىء صلى الله عليه وسلم على ان الفائدة قد تتوفر لحديثي العهد بالاسلام وقديما

قد قيل ان السلامة من سلمى وجارتها ان لا تحل بحال حول واديا
فترجو من المنتقد الاول ان يقنع فيقلم وممن لا يرى رايه لكنه راي فيما
ذكره الاستاذ وجها آخر للاعتراض وهو توجيه غضب الناس الى ابن جرير
والزمخشري وابن عطية على سوء التعبير المحوج الى حمل كلامهم على غير الظاهر
وانى لما سمعت منه هذا اثبت على الاول وقلت ان بعض الشر أهون من بعض

« ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون » قرأ نافع بضم الصاد وقرا حمزة بكسر الصاد فالاولى بمعنى يصدون غيرهم عن الايمان والثانية بمعنى صدودهم في انفسهم وكل المعنيين حاصل منهم »

ان ما ذكره الاستاذ في بيان معنى يصدون على القراءتين غير صحيح ومنقوض بكلام المفسرين العظامين ابن عطية وصاحب الكشف المنقول عن المفسر ابن جزي مـسـمـا له من غير ترجيح لاحد القولين فقراءة الضم معناها يعرضون وقراءة الكسر يشجون ويضحكون فيصدون حينئذ في الآية قاصر غير متعدي على كلا القراءتين خلافا للاستاذ في تعديته على قراءة الضم وبيان معناه على قراءة الكسر هذا بالنسبة لمقتضى معنى الآية اما اللغة فيجوز استعمال يصد بالضم قاصرا ومتعديا

الصفحة الخمسون

« وعندي انه ان كان حديث عمر وهشام بن حكيم قد حسن افصح راويه عن مقصد عمر فيما حدث به بان لا يكون مرويا بالمعنى مع اخلاق بالمقصود انه يحتمل ان يرجع الى ترتيب آي السور بان يكون هشام قرا سورة الفرقان على غير الترتيب الذي قرأ به عمر فتكون تلك رخصة لهم في ان يحفظوا سور القرآن بدون تعيين ترتيب الآيات من السورة »

هذا شك وتشكيك فيما اتفق عليه الخمسة والثلاثون علما على الاقل الموزعة اقوالهم على هذا العدد والمنية على اعتقاد صحة افصح راوى الحديث وحسنه وقد تكون اشياخ الاقوال المذكورة فوق هذا العدد باعتبار ان بعض الاقوال بالخمسة والخمسة والثلاثين يتبعه اثنان او اكثر ثم اذا اعتبرنا انضمام القائلين بانه من المشكلات المفوضين علمه الى خالق الكائنات تعاضم العدد وقد كل الاكثر عن شرح الحديث بما تطمئن له النفس وفوض الآخر ومع هذا لم يتجاسروا على الطعن فيها بقادح وقد ذكر صاحب مناهل العرفان ان حديث نزول القرآن على سبعة احرف مروى عن عشرين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة اليس في هذا دليل قاطع على سلامتها وفي « الاتقان » للإمام السيوطي وفيما تقدم عن مناهل العرفان للعلامة الزرقاني ما يدفع شك الاستاذ وتفكيكه فكان جديرا بنا ان لا نبدي في شأنها الراي الفطير وان لا نجازف في التعبير تصريحاً او تلويحاً واما رجوع الحديث الى ترتيب آي السور وتفسيره به آي فهو ابعد الاقوال الثلاثة المنتقاة من الخمسة والثلاثين واقربها الى الاشكال والايراء والفرق أين من الفجر الصادق لذى البصر الحديد واقل ما

يقال فيه كيف يكون الترتيب في السور التي عدد آياتها دون السبع كسور - الابتر - والعصر - والاخلاص ثم يقال ان هذا الفهم يؤدي الى ان الحديث منسوخ ولو كان محكما لظهر اثره في خط المصحف العثماني ولم يقل بهذا النسخ احد من علماء الحديث المتكلمين عليه فلو احتسب احد الاقوال المنتقاة المعزوة لاولئك التقاة او التفويض لكان الكلام احلى وترك الابتكار اغلى واعلى والله يهدي من يشاء الى سراط مستقيم

« ومن الناس من يظن ان المراد بالسبع في الحديث ما يطابق القراءات السبع التي اشتهرت بين اهل فن القراءات وذلك غلط ولم يقله احد من اهل العلم واجمع العلماء على خلافه كما قال ابو شامة فان انحصار القراءات في سبع لم يدل عليه دليل ولكنه امر حصل اما بدون قصد او بقصد التيمن بعدد السبعة او بقصد ايها ان هذه السبعة هي المرادة من الحديث تنويها بشأنها بين العامة »

غفر الله لابي شامة في تجويزه الاحتمال الثاني والثالث فانه يلزم عليهما اعتقاد رقة الدين فيمن حصروها في السبعة لان الحصر المبني منهم على ما ذكره شبيه تلاعب بالقراءات والقراء ان اذ لم يكن الحامل على هذا الحصر قصد اصابة الحق وانما هو ضرب من التصنع مذهب بتدجيل فهذا العدد حيثئذ مبني على شفا جرف هار . ومن العجب ان يمر عليه المولعون بالانتساب الى التحقيق والابتكار . بدون هدم او انكار وكان حال القراء في مثل هذا قائل -

سم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
اللهم صن لحومهم من المضغ كما صنعت كلامك هذا وقد اطلعت بعد ان سوت
ما سلف على ان ابا شامة لم يقله وانما نسبة اليه سوء فهمي لكلام الاستاذ والعذر
عند كرام الناس مقبول

الصفحة الاثنان والخمسون

« واما ما خالف الوجوه الصحيحة في العربية ففيه نظر قوى لانا لا ثقة لنا بانحصار فصيح كلام العرب فيما صار الى نحة البصرة وانكوفة وبهذا ينطل كثيرا مما زيفه الزخشرى من القراءات بعله انها جرت على وجوه ضعيفة في العربية لا سيما ما كان منه في قراءة مشهورة كقراءة عبد الله بن عامر « وكذلك زين كثير من المبشرين قتل اولادهم شركائهم » ببناء زين للمفعول وبرقم قتل ونصب

اولادهم وخفض شركاثم »

موجب التعليل بعدة تعويض لفظة الصحيحة بلقطة المشهورة كي يستقيم لنا هذا الابطال وندخل قراءة ابن عامر في العربية الصحيحة التي لم تشتهر اما بدون هذا التبديل فانه لا يمكن الابطال فيحل محله التاييد والحكم على قراءة ابن عامر بفساد عربيتها في نظر الزمخشري لا بضعفها فحسب

الصفحة الخامسة والخمسون

« امتن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله » نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين « فعلمنا من قوله احسن القصص ان سياق القصص القرآنية لم يكن مساق الاحماض وتجديد النشاط وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير او شر لان غرض القرآن اسمي واعلى من هذا ولو كان كذلك لساوى كثيرا من قصص الاخبار الحسنة الصادقة فيما كان جديرا بالتفضيل على كل جنس القصص وابصر اهل العلم ان ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنتها القصص من عواقب الخير او الشر ولا على حصول التنويه باصحاب تلك القصص في عناية الله بهم او التشويه باصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم كما تقف عنده افهام القانعين بطواهر الاشياء واوائلها بل الغرض من ذلك اسمي واجل »

اعظم ما في قصص القرآن ما نفاه الاستاذ صورة او حقرة ولو لم تحو الا المحقر عنده فقط لكان كثيرا لكن الاستاذ لم يقنع ما اقتصر عليه القانعون الذين انحطت همهم عن بلوغ الثريا في نظره وقد استغفر عظيما الى ان افضى به هذا الاستغفار الى ما يباه الادب حيث قال ولو كان كذلك لساوى كثيرا من قصص الاخبار الحسنة الصادقة الخ فهل تفوقها بالاعجاز وتقويتها لقلب الرسول واتباعه وتهديدها للمتعتين من اعدائه والايقان بانها من عند الله لا يرفعها عن التسوية بغيرها ويجعلها اعلى منها لفظا ومعنى فرحم الله من قال - ومن البرما يكون عقوقا - وسامح ابا الطيب في قوله -

اذا ساريت في شرف مسروم فلا تقنع بما دون النجوم
فانها وان كانت جارية ان مجرى الامثال فلطالما قدت بحمياها اعناق الرجال
ومن عجائب هذا البيت علمي فريقان مختلفان ذوقا وسميا احدهما اهل

الزهد والقناعة والآخر اهل الحرص والطاعة فالاولون عاملون بها في التحلي
بالكمالات النفيسة الباقية ذخائرهما وابتغاء ما عند الله بالطاعة والجلود بالحقوق .
ولآخرون مولعون بالحطام وابتغاء ما عند الناس من ثناء والاسراف فيما فيه رياء
وسمعة وعقوق . هذا وانى رايت بعض القانعين بالاعتصار على ما ذكروا من البيان
لفوائد قصص القرآن رايتهم مسوقين بغرض شريف وهو الاقتداء بقوله جل
شانه وتعالى سلطانه « لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب فقتنوا بذكرها فلا
ينغى ان ينسبوا الى مهانة النفس ويوجه اليهم لفح التطاول المدفوع بالغرور
والاعجاب . ويتوب الله على من تاب .

الصفحة السادسة والخمسون

« الفائدة الاولى ان قصارى علم اهل الكتاب في ذلك العصر كان معرفة اخبار
الانبياء وابامهم واخبار من جاورهم من الامم فكان اشتمال القرآن على تلك القصص
التي لا يعلمها الا الراسخون في العلم من اهل الكتاب تحديا عظيما لاهل الكتاب
وتعجيزا لهم بقطع حجتهم على المسلمين قال تعالى « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فكان حيلة القرآن بسبب ذلك احقاء
بان يوصفوا بالعلم الذي وصفت به اخبار اليهود وبذلك انقطعت صفة الامية عن
المسلمين في نظري اليهود وانقطعت السنة المعرضين بهم بانهم امة جاهلية وهذه فائدة
لم بينها من سافنا من المفسرين

في كلام الاستاذ محذوف لا بد من اعتباره ليصح كلامه اذ يؤدي عدم تقدير
المحذوف الى بطلانه لانه لم يطلع على جميع التفاسير وان كانت خزائنه صانها الله
عامرة بما لذو طاب من مملوك ومستعار في حكمه كشرح الميرزوقي على ديوان
الحامسة مثلا واذا عارض احد في هذا وقال انه مطلع على جميع التفاسير وان مكتبته
مشملة على كل مطبوع منها ومخطوط فاننا نرده الى الصواب بقول الاستاذ نفسه
المتضمن انه لم يطلع على تفسير احكام القرآن لصاحبه اسماعيل بن اسحاق بن حماد
المالكي المحهور مع اصحاب الهمم العالية من المفسرين كما ذكر بصفحة اربعة وسبعين
من هذه المقدمات التفسيرية وبهذا تبطل دعوى هذا المعارض ان الاستاذ اطلع
على جميع التفاسير ولهذا نقى عنها التعرض الى ما ذكره مخاطبه ونسبته لنا الى
الاعتساق في البحث لا دليل عليه فاي حرج اذا قلنا انه اراد ان يختم كلامه عن
الفائدة الاولى بقوله « فيما اطلعنا عليه » ففعل فلا شك انها مرادة له قطعا وان

ضرب المعارضون عرض الحائط بكلامنا فإله حسيبهم ثم ان اختصاص الاستاذ بذكر
هاته الفائدة بالنسبة للمفسرين قد يكون واقعا اما بالنسبة الى غيرهم من العلماء فلا
فأنهم ذكروا من اوجه الاعجاز اخبار الغيبة التي اطلع على بعضها اهل الكتاب
وسلمها بعضهم بلسانه وقلبه وبعضهم بقلبه فقط وفي ذلك اجمال لما افصح عنه الاستاذ
فله فضل الافصاح

« الفائدة الثالثة ما فيها من فائدة التاريخ من معرفة ترتب المسببات على اسبابها
في الخير والشر والتعمير والتخريب لتقتدي الامة وتحذر قال تعالى « فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا »

كنت جالسا بزواية باحدى الاماكن العامة اطالع هاته المقدمات فباغت للفائدة
الثالثة منها فاذا شاب حاد النظر لا اظنه يتجاوز الثلاثين يجلس قريبا مني وجماع
في الكتاب ثم قال ما تطالع فاريت اسم الكتاب فقال اسمعني منه فقلت طالع بنفسك
فتناوله وقال معتزا انه نال العالمية الزيتونية منذ ستين فتشأغلت عنه بالحريرة الى ان
اتممتها فرجعه الى قائلنا انه طالع مقدمة القصص كلها فكان جميع ما فيها معرفة
التاريخ لذاته وللاعتبار به فني نتيجة في التكثير من المفتوح به وغيره فقلت لست
المؤلف وان ايت الالجواب فنزلها شرحا للعبارة وايضا لها فقال انه لا يرى ذلك
لمن يريد ان يسلك سبيل الاختصار ويذكر ما لا بد منه فقلت له لا بأس في سلوك
المؤلف فانشد

وعين الرضى عن كل عيب كيلة كما ان عين السخط تبدي المساويا
فانشدت قوله : - وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
فاحتد قائلا ألم تعلم ان الشهادة الكبرى بيدي فقلت قد عامت يا بني واسأل الله لي
ولك الوقاية من الحدة والتسرع والاعجاب فقال دعنا من الدعاء فلسنا في الجامع
فقلت لاضر فانه سميع قريب فظهر البشر عليه وقال دعنا من هذا ما ترى في سياسة
المؤلف وهل انت من اشباعه فقلت اني من اشباعه ونسوا اليه الاستعاذة من السياسة
وما اشتق منها وان حظي فيها تفهم أخبارها واباية السباحة فيما لا يعود علي بخير
في اخراي ولا يستقر بي على القصد والكفاف في ديني الى ان يبلغ الكتاب اجله فقد
كبر السن وهزل العظم ولا ازيدك فقال احسنت في هذا لان اصحاب العمائم لا
يتقنونها فقلت لا تاثير للشباب على التفكير والنيات والاعمال فاتركوا الفضول تستريحوا
وتريحوا واحترموا اصحاب القلوب السليمة والاعمال القويمة من متعمدي الرؤوس
او من امة المجوس واتخذت انت في معاملة الناس غير هذا المنهج فقد اخذت الكتاب

فمن حملته واعدته بغير شكر وحاورت بغير ادب وحقرت اصحاب العمائم وانا
من عامتهم فوق قائل اسرفت ايها الشيخ في التعنيف وسوء الظن اليسوا اولياء
نعمشي ورافعي جهالتني واسباب التحلي بعالميتي فاني لا اريد التعميم ولا اقصد الترييم
ثم ودعني بادب طالبا الغفران معتذرا عن الحدة والطفيان يسر الله له من الخير ما
اراد ووقفه الى سبيل الرشيد والسداد وبعد فقد سالت عنه من يعرفه فاجبرني بانه
من نوايح من اتجنتهم « الصادقية » وانه محام مشربص بالقانونين وانه لا علاقة له
بعالمية الجامع الاعظم فقلت في نفسي غفر الله له تلك القرية وذلك العنف ورحم الله
من قال : - وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جازمه العذاب

الصفحة السابعة والخمسون

« الفائدة الثامنة ان ينشئ في المسلمين هممة السعي الى سيادة العالم كما سادة
امم من قبلهم ليخرجوا من الجمول الذي كان عليهم العرب اذ رضوا من العزة
باغتيال بعضهم بعضا فكان منتهى السيد منهم ان يغنم صريمة ومتبهي امل العامي ان
يرعى غنيمة »

معاذ الله ان قصص القرآن ليس فيها ما نسب الاستاذ اليها وان كره ذلك اصحاب
الفكر الجديد فهي لا تبعث في المسلمين الا الزهد ولا تدفعهم الا لاصلاح النفوس
وتقويم النيات والاعمال وقد عافوا بها الجشع والشره والحرص والرفاهية والتنافس
في الدنياوات والتكاثر منها والتعالى واشربت قلوبهم حب السعي في رضاء من
يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين نعم ورد في كلامه تعالى انه اعزهم
او سيمزهم فمن ذلك « وله العزة ولسوله وللمؤمنين » ومنه « وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
ولينبئن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » فاقادوا لمراد
الله وفكروا رقايبهم من حكم الظالمين الضالين المضلين من عبدة الاصنام والنيران
وادخلوا دين الله في قلوب الخافلين عن هداية الاسلام وحاربوا اعداءه الباذلين
جهنم في اركاسه وتعطيل دعوتهم وجعلوها مأكلة لنفوسهم اذ وقفوها على خدمة
تلك الدعوة قبلوها ما اقدرهم الله عليه ولم يزاخروا من انتصروا عليهم الا في مكارم
الإخلاق التي بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتتميمها فبقى عزهم في سموحه
وعظفوانه ما بقيت صبايتهم في رضاء الله ولما تحول جهنم الى الدنيا وعضوا عليها
بالنواجص وصارت غايتهم اخذ ذلك العز في التدلى الى ان صرنا الى ما نحن عليه
فصدق علينا قوله تعالى « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما

بأنفسهم». فالقصص القرآنية لم تطبعم في نفوس المسلمين نهمة الهيتلريين
والموسوليين كما يشمه كلام الأستاذ والذي حمل المسلمين على بذل ارواحهم في اصلاح
الارض حسيا ومعنويا قصد شريف ساقهم اليه القرآن وتعاليم سيد ولد عدنان

الصفحة الثامنة والخمسون

« وفيما ذكرنا ما يدفع عنكم هاجس اياته خطر لكثير من اهل اليقين
والمتشككين وهو ان يقال لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود
منها وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة وربما تطرق هذا الهاجس ببعضهم
الى مناهج الاحاد في القرآن»

هذا الهاجس لا يدفع بما ذكره الأستاذ قبل ولا بما سيذكره بعد بالنسبة
للمتشككين لوضوح الامر وظهور الفائدة في التكرار الا ان مرض قلوبهم يجعلهم
على تحسين القبيح وتقيح الحسن وتكلف المطاعن ليشككوا غيرهم او ينعتوا بالذكاء
والتمحيص او يعذروا في دهرتهم الحقيقية او المتكلفة فهؤلاء لا دواء لهم الا ما يقذفه
الله في قلوبهم من نور واما واصحاب اليقين فقصاراهم ان تشرح صدورهم ويزدادوا
ايمانا ومحال ان يفقدوا عند جهلهم اطمئنانا او تستفزهم حيرة فينقلدوا عوضه
كفرانا

الصفحة التاسعة والخمسون

« الخامس ان تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها باساليب مختلفة
ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها اذخر » سئلت عن
معنى الجملتين الاخيرتين فتجبرت ثم اطمانت نفسي الى ان اقول ان الاستاذ ربما
اراد ان القصة المذكورة في موضعين او مواضع قد يحذف منها في موضع ما يذكر بها
وهي في موضع آخر والمأمول اني لا بست الصواب واحسن الجواب والا فسي
الاجر الواحد خير كثير لمن يقنع ودليل على صحة بياني ما ذكره بعد وهو قوله
فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع ويذكر آخر في موضع آخر

« فهذه حقيقات سمعت بها القرينة وربما كانت بعض معانيها في كلام
السابقين غير ضريحة »

كان الأستاذ يشير بهذا الى الاستاذين المرحومين محمد عبده مفتي مصر

المشهور ورشيد رضا صاحب مجلة المنار فانهما جالا في الموضوع جولة فسيحة ولا
اتيقن انها كانت منها معا او من احدهما فقد طال الزمان وتعمرت المراجعة
فودعناها توديع ابن زيدون لولادة معتذرين عن الوصال بما اعتذر به اذ قال
ولا اختيارا تجنبناك عن كذب لكن عدتنا على كره عوادينا

صفحة ستين

« وتسمية هذه الاجزاء آيات عو من مبتكرات القرآن قال تعالى هو الذي
انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وقال كتاب احكمت آياته ثم فصلت وانشأ
سميت آية لانها دليل على انها موحى بها من عند الله الى النبي صلى الله عليه
وسلم لانها تشتمل على ما هو من الحد الاعلى في بلاغة نظم الكلام ولانها لوقوعها
مع غيرها من الآيات جعلت دليلا على ان القرآن منزل من عند الله وليس من
تأليف البشر اذ قد تحدى النبي به صلى الله عليه وسلم اهل الفصاحة والبلاغة
من اهل اللسان العربي فمعجزوا عن تأليف مثل سورة من سورة فلذا لا يحق ان
يسمى جل التوراة والا تنجبل آيات اذ ليست فيها هذه الخصوصية في اللغة العبرانية
واما ما ورد في حديث رجم اليهوديين الذين زنيا من قول الراوى « فوضع الذي
نشر التوراة يده على آية الرجم » فذلك تعبير غلب على لسان الراوى على وجه
التشبيه لها بجمل القرآن اذ ام يجد لها اسما يعبر به عنها »

يتبادر الى الذهن ان قول الراوى فوضع الذي نشر التوراة يده على آية
الرجم يتبادر انه اعتقد صحة التعبير عنها بآية تعبيرا حقيقيا لانها من عند الله بواسطة
كليمه موسى عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء الصلاة والسلام او مجازيا على وجه
التشبيه لها بآية القرآن اما التعليل بانه لم يجد طريقا للتعبير غير ذلك فقد يقال
لصاحبه قد حجرت واسعا وضيق فسيحا ليس في امكان الراوى ان يقول على
كلمة الرجم او كلام الرجم او كلمات الرجم اذ الرواة لا يصلون في المعى الى
فهاة باقل ولو بلغوا فيه ما بلغوا فكيف وهم اقرب البلاغة وفرسانها المبرزون
وفطاحل البيان فسبحان الملك الديان

الصفحة الواحدة والستون

« قال ابو بكر ابن العربي « وتحديد الآية من معضلات القرآن فمن آياته

طويل وقصير ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهي الى تمام الكلام وقال الزمخشري الآيات « علم توقفي » فاما ما اختلف السلف فيه من عدد آيات القرآن بناء على الاختلاف في نهاية بعضها فقد يكون بعض ذلك عن اختلاف في الرواية كما قدمنا انفا وقد يكون بعضه عن اختلاف في الاجتهاد »

الاحتمال الثاني غير صحيح الا اذا اراد الاستاذ الاحتمال العقلي المجرد عن القرينة وهو عدم وجود الرواية في تحديد البداية والنهاية اصلا او ضاعها والاول ممنوع لاقتضائه التقصير في التبليغ والثاني مثله لاقتضائه تقصير الصحابة في حفظ ذلك المبلغ

الصفحة الثانية والستون

« وعلى ترتيب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم حفظ القرآن كل من حفظه كلا او بعضا وليس لهم اصل في ذلك الا ما عرفوا به من قوة الحواظ ولم يكونوا يعتمدون على الكتابة وانما كان كتاب الوحي يكتبون ما انزل من القرآن باذن النبي صلى الله عليه وسلم ولعل حكمة ذلك ان يرجع اليه المسلمون عندما يحدث لهم شك او نسيان ولكن ذلك لم يقع

جرت عادة التعبير العربي في مثل هذا الترجي ان يبقى على خفاء في الحكمة وهو هنا امر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة ما يوحى اليه من الذكر الحكيم ولا يحسن الترجي هنا لوضوح الحكمة في الامر بالكتابة بالنسبة للمرسى اليهم اما الرسول عليه الصلاة والسلام فقد عصمه الله من نسيان القرآن عصمة مستفادة من قوله تعالى « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله » فالصواب في التعبير اسقاط لفظ الترجي من الجملة بعده او عدم ذكر الجملة لان معناها معلوم بالضرورة

الصفحة الخامسة والستون

« ومنهم من رتب على حسب الطول والقصر وكذلك كان مصحف ابي وابن مسعود فكانا ابتداء بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران وعلى هذه الطريقة امر عثمان رضي الله عنه بترتيب المصحف المدعو بالامام

لم ينقل الاستاذ ما يفيد ان الخليفة امر بترتيب السور على منجهما اذ لو امر بذلك لكانت سورة النساء في مصاحفنا بين البقرة وآل عمران لا بعدها فهل يجوز

الاستاذ عظيم الصبايين امر الخليفة او لا يرى ذلك ويقول ان التغيير وقع فيما بعد من العصور وان مصاحفنا اليوم على خلاف ترتيب المصحف الامام وهذا بعيد جدا او مستحيل شرعا وعادة لانه حدث عظيم فلا يمكن ان يقابله علماء الدين والتاريخ بالاغضاء فما هو الرأي حيثئذ ثم لو كان الامر متعلقا بسورة النساء وحدها لاستجدنا التكلف واحتملنا مشقة التاويل في نسج جواب مهمل كبت العنكبوت كي يصح كلام الاستاذ لكن الامر يتعلق بعدد كثير من السور قدمت في المصحف الخاص على ما يطولها ففي الرقيم الاول قدمت « المائدة » على « الانعام » وفي الرقيم الثاني قدموا يونس على « هود » وفي الثالث قدموا مريم على « طه » والفرقان على الشعراء و « السجدة » على الاحزاب وفي الرقيم الرابع قدمت « الفاشية » على « الفجر » و « الانفطار » على « التطفيف » وبهذا يتبين ان نسبة الترتيب على حسب الطول والقصر الى امر عثمان رضي الله عنه لا يؤيده نقل ولا يوافق عليه عقل

الصفحة السادسة والستون

« عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم ان عمدتم الى الانفال وهي من المائتي والى براءة وهي من المئين فقرتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتوهما في السبع الطوال فقال عثمان كان رسول الله مما ياتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الاثقال من اوائل ما انزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض رسول الله ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطوال »

يظهر ان مراد الاستاذ بسوق ما ساقه عن الترمذي عن ابن عباس اقامة الدليل على دعوى امر عثمان رضي الله عنه بترتيب المصحف الامام علي مصحفى ابي وابن مسعود رضي الله عنهما ولكن ما ساقه غير مقيم لهاته الدعوى وغاية ما يفيد هذا النقل بيان سبب سقوط السملة من اول « براءة » وهو اعتبارها تسمية لسورة « الاثقال » لا غير واحسن ما يجاب به عنه ان يقال ان وقوع المنقول عن ابن عباس اثر الدعوى على امير المؤمنين عثمان لا يقهده بتأييدها وانما هو محرج داقتضاب ولعله

يرضى بهذا بعد التأمل والغفلة والنسيان من شأن الانسان هذا وقد شككت في
كلهتي « مما » هل هما اثر تحريف من الناسخ الاول لكتاب الترمذي المنقول عنه
كلام ابن عباس او من بعض الناسخين بعده وسبب الشك ان الحار والمجرور لا
تتوقف صحة الكلام عليهما وفي سقوطهما دفع غموض واشكال وقد اثبت الف
الرحمان تقليدا للاستاذ حتى لا اغير خطه كيفما كان ولولا قصد المحافظة عليهما
لحذفها لوجوب سقوطها في الرسم التوقيفي والقياسي عند وجودها في البسملة
فليتأمل

« وقال ابن بطال لا نعلم احدا قال بوجوب القراءة على ترتيب السور في
المصحف بل يجوز ان تقرا الكهف قبل البقرة واما ما جاء عن السلف في النهي عن
قراءة القرآن منكسا فالمراد منه ان يقرأ من آخر السورة الى اولها انتهى »

في ترتيب السور على ما هو معلوم من مصاحفنا اختلاف على ما ذكر في
الاتقان وما ذكر عن الباقلاني وابن عطية وغيرهما ونقله الاستاذ والذي يظهر
بل يتحقق ان الخلاف دائر بين كونه من الرسول عليه الصلاة والسلام او من
الصحابة المكلفين بترتيب المصحف الامام بادارة كاتب الوحي زيد بن ثابت رضى الله
عنهم او بعضه منه صلى الله عليه وسلم وهو ترتيب السبع الطوال والخواص والمفصل
وما عداه منهم وعليه فلا شك في ان الترتيب شرعي ومقصود وثمررة وحى او
اجتهاد نخبة من اصحابه مختارة من خليفته الثالث فاذا قدرنا جواز - التنكيس خشينا
ان يتعش ابليس . اذ لا فائدة في الترتيب ولا ثمررة في التزامه فكلام ابن بطال
الذي يظهر من الاستاذ اعتماده لذكره اثر كلام عائشة رضى الله عنها ولحم
الموضوع به باطل ان اراد بالجواز استواء الطرفين لانقى الوجوب فقط وهو
الظاهر وما ساقه عنها مرويا عن البخاري قد يكون قبل حضور المصحف الامام
على ان مذهبي مالك وابي حنيفة يكرهانه ولا ادري هل غيرهما مثلهما او يحترمه
واذا كان الحال هكذا فالواجب ترك نقل كلام ابن بطال رحمه الله او تعقبه بالبحث
والتمحيص كما فعل مع ابن رشد والشاطبي وعبد الحكيم والالوسي والسيوطي لكن
الاثيان بالنادر محبوب وان كان غير مطلوب

الصفحة السابعة والستون

« والظاهر ان الصحابة سموها بما حفظوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
او اخذوا لها اشهر الاسماء التي كان الناس يعرفونها بها ولو كانت التسمية غير

ما ثورة فقد سمى ابن مسعود القنوت سورة الخلع والخنك كما مر فتبين أن تكون التسمية من وضعه واسماء السور اما ان تكون باوصافها مثل الفاتحة وسورة الحمد واما ان تكون بالاضافة لشيء اختصت بذكره نحو سورة لقمان ويوسف والبقرة، واما بالاضافة لما كان ذكره فيها او في نحو سورة هود وسورة ابراهيم واما بالاضافة لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة وسورة حم عسق وسورة حم السجدة كذا اسماءها بعض اهل السلف وسورة فاطر وسموا جميع السور المفتحة بكلمة حم وال خاميم .

واحسب ان الصحابة لم يثبتوا بالمصحف اسماء السور بل اكتفوا بآيات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السورتين وانما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآية قرآنية فاختاروا البسملة لانها تجمع معاني حسنة مع كونها آية من القرآن »

التسوية بين احتمال ان التسمية ما ثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وبين كونها ما ثورة عن مطلق الناس لا تطمئن اليه النفس لان ناس ذلك العصر لم تعنهم الصحبة واكثرهم عوام فلا تعتمد عليهم الصحابة ولا يصح تنزيل الصحابة منسلة من يقلدون عن غير مستند متين ومن اذا قيل لهم عن شيء قالوه او فعلوه « ما سندكم » « قالوا قال الناس فقلنا او فعلوا ففعلنا » فهم فوق ما نحن عليه بكثير وتسمية ابن مسعود القنوت سورة الخلع والخنك لا ينافي ما قلناه لانه من اعيان الصحابة وعلمائهم وقول الاستاذ « واما بالاضافة الخ » غير مفهوم الا عند خذف كلمتي « او في » فلعلها سبق قلم دفع اليه الاسراع وقوله « حم السجدة » غلط او سبق قلم ايضا لان هذه السورة لم تكن من القسم الذي عطف على بل من القسم الذي قبله لانها ذكر فيها قوله تعالى « واسجدوا » الآية حيث يطلب عندها السجود ونسبة التسمية الى اهل السلف غير مسلم لانها وقعت من بعضهم لامن بعض اهلهم كما في « الاتقان » وانما قلنا هذا لانها لم تقع مضافة لكلمة بعد فاتحتها كـ « حم عسق » ومما يلفت النظر حسان الاستاذ ان الصحابة لم يثبتوا بالمصحف اسماء السور وتعليقه لذلك مشكل فان في كون البسملة آية خلافا بين الصحابة انبنى عليه خلاف بين الائمة ولم تتفق الصحابة على قرآنتها الا في سورة « النمل » فكان على الاستاذ ان لا يغفل هذا حتى لا يستشكل المالكيون كراهتها في صلاة الفرض ثم عدم اثبات الصحابة اسماء السور في المصحف لا يسلم الا بالنقل لان الاصل ان لا يرسم فيه بعد انقراضهم الا ما اثبتوه فانهم الامم الاسلامية بالتناطوء على المخالفة في مثل هذا مدعاة للتشكيك فيما هو اهم ولسنا في حاجة الى هذا

الخبان الخالي من الجدوى ولا محذور في اعتقاد ان ذكر اسم السورة في المصحف من وضع الصحابة رضوا ان الله عليهم اجمعين

الصفحة الواحدة والسبعون

« مثال ذلك ما رواه ابو سعيد بن المعلى قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في الصلاة فلم احبه فلما فرغت اقبلت اليه فقال ما منعك ان تجيبني فقلت يا رسول الله كنت اصلى فقال لم يقل الله تعالى استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم فلا شك ان المعنى المسوقة فيه الآية هو الاستجابة بمعنى الامتثال كقوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرع وان المراد من الدعوة الهداية كقوله يدعون الى الخير وقد تعلق فعل دعاكم بقوله لما يحييكم اى لما فيها صلاحكم غير ان لفظ الاستجابة لما كان صالحا للحمل على المعنى الحقيقي ايضا وهو اجابة النداء حمل النبىء الآية على ذلك في المقام الصالح له بقطع النظر عن المتعلق وهو لما يحييكم »

انى اقسم بالله انه لو صدر هذا من المفسرين ابن جرير . والقرطبي وصاحب الكشاف والرازي وابن عطية وابن جزى والالوسى والبضاوى وغيرهم لاستعذنا بالله عند سماعه وعددنا تكليفهم لنا باعتقاده من البلاء المين وحوالنا واسترجعنا وهممنا ان نضرب به الهواء ونلحقه بالهباء ولكن الله سلم وعندئذ فلا اقل من ان تقول عش رجبا ترجبا يحمل الرسول عليه الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه صاحبه الجليل وهو ابى بن كعب على الاشهر او سعيد بن المعلى على ما ذكر الاستاذ ان يلقى من لفظ القرآن ما يقوم به معناه الظاهر او الخفى وان يشئت شمل كلام الله فيحذف منه تقدير اربع كلمات بل ستاليقهم ان الدعاء في الآية مراد به النداء لا الارشاد وان الاستجابة مراد بها الاجابة باللفظ كقول نهر او بالفعل وهي الاقبال على المنادى وان الصحابي لا يمكن ان ينزل على مراد الرسول من الآية الا بتقدير « لما يحييكم » معدوما كي ينال المرغوب فيه من الفهم سبحانه الله فما لنا ولهذا التكلف الثقيل والمرعى الويل واي مانع من ان تقول غفل عن الآية او لم يفهم ولكنه فهم المعنى الظاهرى وهو الامتثال عند دلالة لهم على الخير ولم يحضره الخفى عند المناداة لغيبوبة قلبه في الصلاة والرسول عليه الصلاة والسلام يبين له المعنى الخفى بالنسبة للمبتدئ وان هذا المعنى الخفى مستفاد من الآية ومملول لها بنون قطع وصل وتقدير بعض الناطها معدوما وقد قال الله تعالى

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً المفهوم منه ان دعاءهم دلالة على
 غير واجابته صلى الله عليه وسلم ان اجابته صلى الله عليه وسلم في الصلاة لا تبطلها
 استفاداً بطريق الإشارة وقد ذكر الفقهاء ان اجابته صلى الله عليه وسلم في الصلاة لا تبطلها
 ويجب على المصلي المعنى لا يخفى على السبب هذا وقد ذكر في مطالعة كلام الاستاذ في هذا
 الموضوع حكاية مرت عليها السنون وهي ان رجلاً صلى العصر باحد الجواهر ثم رأى فقياً يأتى
 درساً فسأله هل له ان يصلي فقال الفقيه لا تصل بعد العصر وقبل المغرب فضلاً
 فطلق آخر قائلاً له اما سمعت قوله تعالى « فويل للمصلين » فزجره ذلك الفقيه
 بقوله لا لزوم لهذا الحبط فقد اجبته بما فيه مقم فالزم السكوت فرد عليه بقوله
 اجبته

بما تحسنه من علم الفقه وانا اجبت بما احسن من علم البلاغة التي يجب فيه
 ان يقتضى الحال فقلت ما اشبه الليلة بالبارحة والقادية بالرائحة وما ضرنا لو
 ان الهداية والنداء صالحان ان يتعلق بهما « لما يحييكم » وان نداء الرسول هداية
 اجبته بالمثل ولو تغايرا مفهوماً وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه ائب

الصفحة الثانية والسبعون

« ونحن في تفسيرنا هذا اذا ذكرنا معين فصاعداً فذلك على هذا القانون
 واذا ذكرنا معنى مما حمل بعض المفسرين عليه في آيات القرآن فليس تركنا اياه دالا
 على ابطاله ولكن قد يكون ذلك لترجح غيره وقد يكون اكتفاء بذكره في تفسير
 اخرى اجنبنا للاطالة فان التفاسير اليوم موجودة بين يدي اهل العلم لا يعوزهم
 استقرؤها ولا تمييز محاملها متى جروا على هذا القانون »

لا شك في ان الاستاذ لا يريد بمسلكه المبتكر ايقاع من سيطالعون تفسيره في
 حرج ولكنهم سيقعون فيه بالفعل لان من يرى في كلامه معنى اقتصر هو عليه
 ولم يلاحظ غيره ثم جدته نفسه بمعنى آخر يصح ان يكون مراد احديثه نفسه
 امر فذلك ايضا بشئ آخر وهو هل ان اعراض الاستاذ عنه لبطلان ارادته او
 خيرا لذكره في احدى التفاسير الاخرى وهي كثيرة فيعسر عليه التحرير ويرتد
 الى نفسه وهو حسير وانا لتتوجس خيفة من كلام المؤلف فانه يشعر مطالعي
 حيرة المتأمل بالفوز على حرمانهم من النقل عن بعض ما حوته مكتبته من التفاسير
 التي لم تطبع ولم توجد عند خواص العلماء وهي بين يديه وفي كنفه وانا لنا مل
 ان وجود علينا في تفسيره تلك الجواهر المكنونة في اسدافها وان لا يعتمد على
 اعتقاد امتلاء الايدي بها فانه وهم حمله عليه القياس على نفسه فالحقيقة ان اهل العلم

مفتشرون الى الاطلاع على بعض التفسيرات التي تجوئها تلك الخزائنة الكبرى صانها
الله بواسطة تفسير الاستاذ لانها اما خاصة به حقيقة واما خاصة
به حكما وقد كدح احدهم في استعارة المرزوقي على ديوان الحماسة حتى كل
ويش لهذا نرجو منه العدول عن هذا السبيل وعن هذا الظن ولتتمسك تلقاءه
بقول ابي الطيب :

اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
اذ لا فائدة في ظن الغنى عند الفقر واليسار عند الاعسار ثم اني لا انسى
الاعتذار عن الاستاذ في سلوكي المترقب المبني على كره الاطالة فيما اطال فيه غيره
من سلف المفسرين وخلفهم بانه اراد التفرغ لذكر ما فتح الله به عليه مما اساءوا
فهمه واني اسال الله تعالى ان يطيل عمري حتى اطالع تفسير الاستاذ
وان لحقت بنا ايدي النايبا فكم من حسرة تحت التراب
وفي ختام هذا التعليق نرجو من الاستاذ متعلقين باذياله باكين ومسترحمين
ان لا تكون بدائعه من النوع الذي ذكره في المقدمة الخامسة الذي اخرج به امته
الاجابة من وعيد سورة المائدة بلباقة لا تستغرب من جنباه ولا تفقد عند بابيه

الصفحة الثالثة والسبعون

« فاردت في هذه المقدمة ان الم بكم المامة ليست كخطرة طيف ولا هي
كاقامة المنتجع في المربع حتى يضله الصيف وانما هي لمحة ترون منها كيف كان
القرآن معجزا وتبصرون منها نواحي اعجازه وما انا بمستقصي دلائل الاعجاز
في احاد الآيات والسور فذلك له مخفاته وكل صغير وكبير مستطر ثم ترون منها
بلاغته القرآن ولطائف ادبه التي لم يتحد بها العرب تحدى اعجاز وانما هي فتح
لفنون رائعة من ادب لغتهم حتى ترون كيف كان هذه القسرا تفتح
بثائر وفتح عقول وفتح ممالك وفتح ادب غرض ارتقى به الادب العربي مرتقى
لم يبلغه ادب امه من قبل وكنت ارى الباحثين ممن تقدمني يخلطون هذين
الغرضين خلطا وربما اهلوا معظم الفن الثاني وربما الموابه الماما وخلطوه بقسم
الاعجاز وهو لما كان امرا مبتكرا لا يصح في حكم العقول ان يقع به التحدى وان
هذا الفن الثاني هو الذي يحق ان يكون البحث فيه من مقدمات علم التفسير لان
في الاعجاز بعلم اصول الدين اعلى وان علاقة هذه المقدمة بالتفسير هي ان مفسر
القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغا حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملا
على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آيه المفسره بمقدار ما تصبو اليه الهمة من

أظهرنا واختصار فالمفسر بحاجة الى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي
وخصائص بلاغته وما فاقت به أي القرآن في ذلك حسبما اشرنا
اليه في المقدمة الثانية لئلا يكون المفسر اذا اعرض عن ذلك بمنزلة المترجم لا
بمنزلة المفسر فمن اعجب ما تراه خلو معظم التفاسير عن الاهتمام بالوصول الى
هذا الغرض الاسمي الا عيون التفاسير فمن مقل مثل معاني القرآن لابي اسحاق
الرحاجي والمحرر الوجيز للشيخ عبد الحق بن عطية الاندلسي ومن مكسر مثل
الكشاف ولا يجوز في الخلو عن ذلك الا التفاسير التي نحت ناحية خاصة من معاني
القرآن مثل تفاسير احكام القرآن على ان بعض اهل الهمم العلمية من اصحاب هذه
التفاسير لم يهمل هذا البلق النفيس كما يصف بعض العلماء كتاب احكام القرآن
لاسماعيل بن اسحاق بن حماد المالكي

نرجل من كلام الأستاذ امور لا بد لعابر السبيل من الالتفات اليها بلمحة
وان كانت دون لمحته قصرا عملا بقولهم ما لا يدرك كله لا يترك كله اولها انه
يشترق نور بيانه على اعجاز القرآن فيتجلى كما يتجلى البدر ليلة اربعة عشر ثانيا
ان محاسن قيمان قسم له دخل في الاعجاز وقسم لا دخل له فيه ثالثا انه لا يذكر
وله دخل لانه باهى الخلط والمزج فهو من متعلقات علم العقائد وان ذكره الخالطون
فليس عليه تليدهم وجعلهم له قدوة رابعة انهم اساءوا في هذا الخلط ولم يحسنوا
قواعد الطريق وانا تلقاه هذا لا يحسن عندي الا ان اصارح الأستاذ بانى وجدت
السبب بعد التامل من منطوق هذه المقدمة ومفهومها مثل ما كانت عليه قبلها ان
جرا فمستمر وان شرا فمستمر وبانى لا ارى خيرا في هذا التقسيم ولا مبنى
عليه ولا جدوى فيه فالقرآن معجز بمجموع محاسنه من الفاظ ومعان وهيات
وكنه واليرات في النفوس ربانية تحصل عند تلاوته او استماعه وبان من لم
يقسموها الى ما قسمها الأستاذ راوا ان ذلك اعتناء بحفظ القشور مله عن اغلاء
الباطن واعلم فان افضل ما تتحلى به النفوس البارة الكدح في حمل الناس على العمل
بما فيه النفع بدخه والاعراض عن العمل حتى كادت الامة ان تشبه من نزل في
عالمهم قوله تعالى « وهم يبهون عنه وينابون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون
وان بعض المؤمنين التحذير في قوله جل شانه « فليحذر الذين يخالفون عن امره
في تصيهم عنة او يصيهم عذاب اليم » اي امر النبي صلى الله عليه وسلم وبعد فان
قولي الأستاذ انه سيصير الناظر في محته حالة فتح القرآن للباطن والعقول والممالك
واحد اذها غضا ان بقي به الادب العربي جوزه سامعوه ولم ينكر احد منهم انه في
مقدرة الأستاذ اما العالمون به من قبل فقد قال حالهم

وحدثني يا سعد عنهم فزدني هياما فزدني من حديثك يا سعد
واما الجاهلون به وقليل ما هم فهم اليه اشوق وانتشق واطلب واطرب واما
قول الاستاذ ان الادب العربي بلغ بالقرءان بلغ درجة لم يبلغها ادب امت من قبل
فهو معلوم ضرورة لان كلام الخالق فوق كلام المخلوقين وما يستمد منه اقوى مما
يستمد من غيره اما الكشف عنمان يطلعون على هذه المقدمة الخامسة كشفا تفصيليا فهو
مستحيل على من لم يعرف جميع اللغات ويطلع على جميع آدابها فالوعد به عندئذ من
اللغو المحمود تركته ثم ان مقت الاستاذ لمن لم يتعرض لدقائق البلاغة ووجوه
الاعجاز من المفسرين وتحقير صنيعهم ونسبتهم لانتحاط الهممة حملت على الظن
بانه سيأتي بما لم تستطع الاوائل فاذا هو ذاكر ما غلبه منصوص في كتب عياض
والباقلائي والسيوطي وغيرهم واذا مترجم القرآن ابن عباس مبعده عن المفسرين
ذوى الهمم العالية ودأخل في التراجمة المحققين وهنا نطلب من الرحمان ان لا يرفع
هممنا حتى تجتاز دائرة الامن فتقم بمخالب الخسران ونختتم هذا التعليق ونقول
ان بعض المفسرين كابن عباس وذي الجلالين وابن جزى والقرطبي والخصاص
وابن العربي والحازن والرازي والالوسي وغيرهم ممن لم يتعرضوا لما يريد
الاستاذ ان يجعلوه نصب اعينهم قد اقتصروا على بيان ما في قدرهم مؤملين ان يكمل
ما فاتهم من ياتي بعدهم وبكفيهم فخرا دينويا واخرويا توجه نفوسهم الى خدمة
كلام الله وان قصروا في نظره الاستاذ وسعوا تراجمة فلا ضير والممول ان يجازوا
بالجزيل من الجليل وخصوص انية والبناء على غير الدينيات ينفع العباد ويشرق المعاد
الصفحة السادسة والسبعون

« هذا ملاك الاعجاز بحسب ما انتهى اليه استقراؤه اجمالا ولناخذ في
شي من تفصيل ذلك وتمثيله »

لا يسعنا هنا الا شكر الاستاذ اذ ذهب مذهب المفسرين وسلك سلوكهم في
بحث الاعجاز بعدما انتقده بانهم ادخلوا في التفسير بحث ما يجب ان يناط بعلم
العقائد لانه اعلق بها منه بعلم التفسير فهو رجوع عملي وهو ابلغ من القولي
واجدى منه لكن هذا لا يمنعنا من عتابه على التقصير في التوسم بالكلام على
المحاسن القرآنية صاحبة الاولوية بالذكر في علم التفسير وذكر الفروق بينها
وبين ما وقع به التحدي بالحد الجامع المانع او الحزر على الاقل ولعل السر في
الترك ان جلها في علم البديع وهو معروف ممن تاهلوا لمطالعة التفسير فاحالهم
عليه باشارة ربما كانت ارق من النسيم واعذب من التسليم يغتر فيها كنفاء الطبع

وهم لا يشعرون وفي خلاصة ما ذكره القاضيان عياض والباقلاني في كتابيهما الشفاء والاعجاز كفاية لعلها تواردت عليها الحواطر فوسعها استقراؤه

« قد خضعوا من بين الامم بقوة الذهر وشدة الحافظة وفصاحة اللسان وتبيان المعاني فلا يستعصب عليهم سابق من المعاني ولا يجمع بهم عسير من المقامات »

تخصيصهم بهاتين وادعاء انهما لا يقويان في غيرهما من الامم قوتها فيهم لا يقبل الا بتوقيف من معصوم واما غيره فلا لأن استقصاء جميع الامم والموازنة بينهم والجزم بان الله لم يمنحهم ما منح العرب متعذر لسبين احدهما قصر الاعمار عن ان تسم الاطلاع على جميع مواهب من في الارض وتقويمها ثانيهما ان النبوغ المدهش ظاهر في كثير من الامم الذين ليسوا بعرب وهذا الاعتراض نوجهه على الاستاذ اشد منه على غيره لانه ممن ارتفعت همهم العلية لتنوير الفكر الجديد وهو لا يقبل مثل هذا وربما كنت من انصاره فيه مع اني من صميم العرب ولست شعوبيا ولكني اخشى اذا استمررتا في تيهنا واعجابنا وأطلاق العنان لالستنا ان يصدق علينا قول ابي الطيب

وعلاج العقول اعسر برءا حين تعتل من علاج الجسوم

« قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »

ظننت اولا ختم المقدمات بهذه الآية ثم قلت في نفسي لعله سقط منها شيء في المطبعة اوضاع لانه بقى على الاستاذ الوفاء بما وعده في صفحة ٧٣ حيث قال فاردت ان الم بكم المامة الى آخر ما قال ولانه حجت العادة في التأليف ان تختم بالصلاة والسلام والحمد لحاق الانام ثم قلت لعله سها فاقصر واراد ان يحج فاعتمر وبينما انا مفكر اقلب الارراق فاذا بصرى واقم على هذه العبارة « بقية المقدمة العاشرة تاتي في صفحات موالية » فقلت لمن حولى الآن تحقق النقص فهل يقع الوفاء الذي هو من اخص شيم الاستاذ وابرزها واشهرها او تحول دونها الغفلة وعدم التذكير فصاح بى مستمع شبه متجسس قائلا : ما هذه المماكة ؟ فهل يجب على الاستاذ ان يؤلف لتستفيدوا فقلت لم اقل هذا وانما شككت في انجاز الوعد فقال ما احراك بان لا تتجاوز منزلة من تلتطف في انجازه قائلا لمن وعده

وانى جدير ان بلغت بك المنى وانت بما املت منك جدير

فان تولني منك الجميل فاهله والا فاني عاذر وشكور

فقلت يا اخي ان قائلهما مادي وكف النفس عن النهمة المادية مرغوب فيهما

اما النهمة العلمية فمجمودة فقال قد استفدت من المقدمات ما يساوى ثمنها مائة مرة فقلت بل اكثر لانها اهدت الي وسا نزل على رغبتك وآمل ان ينتهي انتظاري بقول الحريري

انجز حرما وء ————— وسح خال اذ رء —————

لا بقول الآخر

اماني من اليلى حسان كانما سقتنا بها ليلى على ضما بردا

منى ان تكن حقا احسن المنى والا فقد عشنا زما رغدا

كما اني ارجو من الله الظفر بمحاضرات الشيخ العلامة عبدالعزيز جابوش رحمه الله في الموضوع الذي وعده به الاستاذ واغفله لا تسلى بها مدة الانتظار ثم فليعلم الناقمون اني معترف بضعف جهدي وقصوري عن بلوغ عشر العشر من رتبة من اردتمه بتقدي ولكني شيت واكتهلت وشخت ولما بقول النظام عفى الله عنه لا ينبغي للمرء ان يصغر عن ان يقول ولا ان يكبر عن ان يقال له فلذلك لم اكثرت بقول البعض عندما سمع صدى « البشر في نقد المقدمات العشر » ابن البرغوث من الفيل والنقرة من النيل والدردانيل اذ لا عار على مرید محاوره لا اعلام بعد ما شغله طلب القوت عن التحصيل على ما تزينوا به من دروياقوت والناس في ميدان الطلب سابق ولا حق وساقط ولا فخر عند العقلاء الا بما يقرب من الله: قال تعالى « فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا مآثم الفروور ورحم الله من قال

وكل وجد ان حظ لا ثبات له فان معناه في التحقيق فقدان

هذا وانني ارجو من الاستاذ اجلي الله ان لا يواخذني بما جاش به صدرى واعتقدته حقا وليذكر في التماس العذر قول اهم دار الهجرة كلکم راد و مردود عليه الا صاحب هاتى الهجرة كتيبه بيده الفانية فقير ربه واسير ذنبه وختمه يوم الجمعة باسبع رمضان سنة ١٣٧٢ مؤلفا عثمان بن منصور غفر الله له ولوالديه واخوانه المؤمنين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

بقية من بعض الواجبات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فاني لم اجد بدا تلقاء الحاح
الاصدقاء من نشر هاته القصيدة التي كنت قدمتها لاحدى المجلات التونسية مهتافا فيها
من تقلد واخططا شرعية كبرى وهم العلماء الاعلام ساداتنا صالح الملقني والطاهر
ابن العاشور وعبد العزيز جعيط والناحي بن مراد ومحمد عباس ومعرضا بسخافة من
تصدى للطعن في الجامع الاعظم وتعاليمه والمتسبين اليه في الجرائد الافرنجية قاصدا
الشهرة والتحقير والتفجير وختمتها بالقات نظر الملك الذي هو من اعظم نعم الله على الخضر
حفظه الله من كل بلاء الى تسهيل امر الغسل على طلبة العلم وقد قدمتها بواسطة
احد فضلاء المدرسين فعرضها ثم ردها على لاسباب منها ان المجلة لا تنشر لغير
مدرسي الطبقة العليا وانها تشتم منها رائحة الرجعية والنفور من التغيير المعزوم عليه
والاساءة الى نصير الفكر الجديد الطاعن المحقر المنقر المقرب عندهما ولو كان امر
المجلة بيد مديريها الظاهر المجازي لما بخل بالنشر ولكن امرها بيد المديرين الحقيقيين
التواريين خلفه وقد قبلنا العذر المفهوم رغما عنا وهذا نص القصيدة :

مجد البلاد اذا طلبت متونه	فتش تجده بجامع الزيتونة
لم تتخذل يا اهل افريقية	ما شاء ربك ان يدير عيونه
قد فاض غوثا بالهداية والتقى	سان الاله شروحه ومتونه
وامدى الرياح الهوج نورا ما اختفى	مستخرجا من بحره مكنونه
ياقى الايمان الى الذي يجتازه	مما يعطى نفسه وسفينه
لكن محجوب البصيرة راكب	عمياء يامل ان تطيل قرونه
يا ويله مستقفا ابناءه	اخزى المهيمن دسه وطنيه
وازداد قمعا اذ تولى امره	شيخ يجمل كهمله وجنيه
فيه من الحزم الصريح لبابه	ومن النزاهة يستمد معينه
بحر له في كل علم رتبة	بالنقد تتخل غثه وسمينه
زان ابن عاشور مراتب جمته	والعلم يرقم الفه وقرنه
يا طاهرا حظ بالرعاية جامعا	حتى يلبس فرضه مسنونه

لولاك لاجتاحته فرقة صالح
 اغرى به الديوان سابق فضله
 بشراك يا عبد العزيز بخطاة
 واذا اختصرت اقول مثلك بيتنا
 وكذلك الناجي وعباس فقد
 وطن اراد الله احسانا له
 فاختر من خير الافاضل خمسة
 شملتهم البركات عند رضائه
 يامن به امن البلاد مقارن
 حلم من المولى ولطف بارز
 تلميذ علم الدين من مرغوبه
 ما دام اجر الفصل حتما بذله
 فاختر وعاك الله خير طريقة
 خير المكاسب ما يقدم حازم

رجل يمهده سهل وحزونه
 فشقى التثقل شوقه وحينه
 وبجهنم مرن بمد يمينه
 نيل يفيض على البلاد معينه
 طفحا بفضل املا تدوينه
 فهدى الامير معزاه وامينه
 ركبوا النهي وسيصدقون ظنونه
 صان المهيمن جمعه وبنيه
 والهول ادبر واسترد رنيه
 ما شاء ربك ان يطيل سنيه
 امر فروضه تقنضي تكوينه
 يشتد عره او يوهن دينه
 مثلي تريح غناه وانينه
 من سعيه يرجو السعادة دونه



اصلاح الخطا

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٦	٣	اقعمل	افتعال	٣٣	١٤	استعبادا	استعبادا
٦	٨	بن	ابن	٣٣	٢٠	العيون	العيوب
٦	٩	حتد	يعتد	٣٥	١	حضره	حذره
٧	١٠	سنة	سنه	٣٥	٤	يتطلب	بطلب
٨	٢٣	وفي رأي	وانا ارى	٣٥	٢٩	ذكرى	ذكر
١٢	١١	حنبل ولا	حنبل عيب ولا	٣٦	١٢	العلماء	العلماء
١٤	٢٦	تزيلها	تنزيلها	٣٧	٢	بدن	بدون
١٤	٦	اخبار	اخبارا	٣٧	٩	اكتو	اكتوا
١٩	٢٠	واليتربص	وليتربص	٣٧	٢٣	الحديث	الحديث
٢٠	١٤	لتين	لثنين			وقدما واعداء واعداء	
٢١	٢٥	يرفع	يرجع	٣٩	١	شاء	شاء
٢٤	٢٥	الا	لا	٣٩	٩	شففى	شففن
٢٧	٨	نظرا	نظار	٤٠	٥	الذين هادوا	الذين هادوا
٢٨	١٤	للامتين	للاميين	٤٠	٨	والانف	والانف
٢٨	١٨	اليتمر	اليتيم			والاذن	بالانف
٣٠	١٢	ذكر صار	ذكر ان صار	٤٠	١٠	بما في يديه من	بما بين يديه
٣١	٢٠	فاد	فاذا	٤١	١	مجرحا	مجرحا
٣٢	٢	التى	ابتلى	٤١	١٦	وتقليدا	وتقليدا
٣٢	٣	ابتى	التى	٤٢	٣	وضعا	وضعا
٣٢	٢	للتامع	للمنافع	٤٣	١٤	قروا	قروا

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٤٧	١٣	المبلى	المبنى	٥١	١٧	الدنياويات	الدينويات
٤٧	١٢	تحويزه	تجويزه	٥١	٢١	وليمكن	وليمكنن
٤٧	١٦	الا	الى	٥٢	١٣	واصحاب	اصحاب
٤٧	٢٦	ثير	لكثير	٦٠	٢٧	في	فن
٤٧	٢٦	المشركين	المشركين	٦١	٢٥	بنهون	ينهون
٤٨	٢٦	جارية ان مجرى	جارية مجرى	٦٢	٢٠	استقراؤا	استقراؤنا
٤٨	٢٥	تقم	تقنم	٦٤	٧	حقا احسن	حقا كن احسن
٤٨	٢٧	البيت عقله	البيت ان علقه	٦٤	١١	عفى	عفا
٤٩	٣	ولآخرون	والآخرون	٦٤	١٧	الحنة	الجنة
٤٩	٢٧	الاعتساق	الاعتساف	٦٥	٥	العاشور	عاشور

